

المسيح خير البرية

دكتور  
داود رشدي

١٩٨٠

الناشر: مكتبة الأزهر

BP 172

S 469

Main

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قل : يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات  
الله والله شهيد على ما تعملون  
قل : يا أهل الكتاب لم تصدون عن  
سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم  
شهداء ، وما الله بغافل عما تعملون .

آل عمران ٩٨-٩٩



## مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا  
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين  
وبعد

... فلم يكن ليدير بخلدي في يوم من الأيام أنتى ساعتى بدراسة  
المسيحية ، ذلك لأننى نشأت في جو بعيد الاحتكاك الدينى الذى قد  
يوجد في بعض البيئات .

بل إن فضيلة الشيخ والذى رحمه الله تعالى كان من قلة العلماء  
الذين لهم أفق واسع في إدراك العلاقات الإنسانية بين أهل الأديان  
الأخرى ... وكان يعلنى منذ الصغر دلاتصدقوا أهل الكتاب  
ولا تكذبوهم ، وكان جل همه في تربيته الحرص على عمق الإطلاع  
فلقد كان رحمه الله ذا صبر طويل في سير غور المسائل الفقهية فربما  
مكث أياما يبحث عن مسألة واحدة ، ولقد ترسب في فكري هذا  
الخلق العلمى .

- لذا فلم يكن من السهل أن اتصرف في مسألة علمية بناء على حث

وجداني عاطفي ، وبالطبع لم يدر في خلدي أنه سوف تكون لي صلة  
دراسية بشيء من مقارنة الأديان .

وظلت طوال فترة دراستي كطالب وأنا لا أتأثر عاطفيا باتجاه  
سليبي أو إيجابى تجاه أحد من أهل الكتاب ، حتى كنت مدرسا في معهد  
طهطا الدينى وكان لى صديق طيب مسيحي ربطت بيننا قسوة الغربة  
صداقة وطيدة وكنت أشاركه فى قراءة بعض الأبحاث الطبية التى  
كانت تشر فى ذلك الحين ، ورغم ثقل العصية فى هذه البيئة فإنه  
لم يكن هناك أدنى أثر فى نفسى تجاه الإخوة المسيحيين ذلك لأن  
مصر شعبا وتاريخا والإسلام أمة ومصدرا لا يعرفون معنى التعصب  
بالمفهوم النشاكس أو بمفهوم الصراع أيا كان لونه كلاميا أو  
دمويا ...

وسافرت إلى أندونيسيا عام ١٩٦٤ م بنفس هذه الروح ،  
والمعروف عندنا آنذاك أن أندونيسيا دولة إسلامية كبرى ،  
فيمجرد أن وطئت قدماى أرض أندونيسيا السنديسية الخضراء  
فوجئت بكثافة رهيبة من الصليبان تعلو الكنائس فى مناطق حساسة  
فظننت أن الدين الرسمى للدولة هو المسيحية ، فانقلبت موازين  
الثقافة التى تعلمتها فى كلية أصول الدين ... وبعد حين من الإقامة

علمت أن نسبة المسيحيين في أندونيسيا لا تعدو ٣٪ وإنما التكتيك التبشيري الذي ينفق بسخاء كالمحيط الهادئ صير المشاهد في المدن كأنها دولة مسيحية ولقد أحسست بوخزة ألم في صدري لأن المسلمين فتحوا هذه الديار منذ عدة قرون ولم تعرف المسيحية لها طريقا إلا في القرن السادس عشر وجاءت الأساطيل المسيحية في خطة شاملة للقضاء على الإسلام بعد أن خرج الإسلام من الأندلس ، واستعمر الصليب بلاد العرب زهاء قرنين نقل فيها حضارة الإسلام إلى أوروبا وراح ينقلب بالتراث الحضاري الإسلامي إلى دولة استعمارية حاكمة على الإسلام والمسلمين ونفس عن أحقاد الاستيلاء على دول الإسلام في جنوب شرقي آسيا .

ولكن كان ألمي شديدا وأنا أرى أبناء جلدتي وقد صاروا في المؤخرة وهم سبب الخير والبركة لهذه الديار وأرى الإسلام يتأخر بتأخرهم وأرى المبشرين كالسوس في الشوارع والمدارس والمصانع والأندية ، لقد كنت أقابلهم في كل وقت من أوقات اليوم في أول النهار وضحاها وظهره وعصره وأصيله ومغربيه وعشاءه وغسقه وسحره ، لا يغيب ظلمهم عن أوقات اليوم ثانية . . . وإنهم ليسيروا راجعي الدراجات أو الموتوسيكلات كأنما يمشون في صحراء ليس فيها أحد ولا تلبث الأيام بعيدا حتى ترى كنيسة قد أقيمت في الخلاء بعيدا عن

السكن والناس لا يعطون هذه الظاهره أهمية ولا يعلقون عليها كثيرا ،  
وكنت أظن أن هذا النشاط في بيئة محدودة فلما طفت جميع الجزر  
وجدت ذلك تخطيطا مرسوما ومدروسة ... وتحسنت مشاعر الناس  
فوجدت غيبوبة كاملة عن تصور المخطط اللهم إلا نفرا قليلا من  
المتحمسين للإسلام<sup>(١)</sup> ... ووجدت نفسي أمام ظاهرة في حياة  
العمل الاسلامي بدأت أدرس وبدأ معي شباب H. M. i المسلم  
الصادق الغيور ووضعت أول دراسة لي عن المسيحية في كتابي :

(أضواء على المسيحية) :

ليتعرف الشباب المسلم على القدر الكريم الذي سمح به الاسلام  
للتعامل مع أهل الكتاب ، ثم عدت إلى جامعة الأزهر ووضعت كتابي

« يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء »

وهو كتاب لم أجد فيه إلى رأى عالم مسلم بقدر ما ركزت فيه على  
آراء علماء المسيحية أنفسهم لإحقاقا للمنهج العلمى الذى يلزم الكتاب  
بتوضيح آراء المذهب المخالف من عين ما كتب أصحابه هم .

---

(١) راجع مقالنا من أندونيسيا في مجلة الأزهر العدد التذكارى بمناسبة المؤتمر التاسع  
لعلماء المسلمين الذى كان مزعما انعقاده في ابريل سنة ١٩٧٩م وقد صدر عدد المجلة في  
جداى الاول ٢٠١٩٣٩ - الموافق أبريل سنة ١٩٧٩ م .

غير أن الدراسات المسيحية قد تطورت وظهرت في المكتبة العلمية بمجموعة دراسات عن علماء المسيحية ومن جامعتها وضمت كثيرا من الحقائق التي قد يكون الاسلام سابقا عليها لكنها كنتائج لأبحاث علمية في بيئة مسيحية تكون من قبيل الحججة بالإلحاح فشاء الله أن يكون لي شرف العمل العلمي بدراسة هذه النتائج من مصادرها المسيحية الصافية في تعصبها لهذا الدين ، وخلصت إلى ماخلص إليه هؤلاء القوم من هذه الدراسة ووضعت اسم هذا البحث اشتقاقا من تطور الكنيسة الزماني والديني حيث انتقلت من

عمل يسوع :

إلى عمل الحواريين

ثم إلى عمل بولس

وأخيرا إلى عمل قسطنطين والجماع التي ولدت مرحلة النقد اللاذع ومحاولة الإصلاح الجذرية التي لن تجد لها دوحة تفيء إليها إلا الاسلام الخفيف لأنه دين الله الذي حمله جميع الأنبياء والمرسلين .

ولم أقصد من بحثي هذا سوى الرغبة العلمية الآمنة التي يسعى إليها كل علماء مقارنة الأديان في جميع الجامعات العالمية وهي الوصول إلى الحق فقط .



والله من وراء القصد وهو الهادى إلى سواء السبيل .  
والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على جميع الأنبياء  
والمرسلين وعلى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

هذا .  
وبالله التوفيق

دكتور متولى يوسف حسن شلبي  
الشهير رءوف شلبي

صباح الجمعة ٥ من ذى الحجة ١٣٩٩ هـ  
٢٦ من أكتوبر ١٩٧٩ م

التصور الاسلامى لرسالة  
سيدنا عيسى عليه السلام

« إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه  
من تراب ثم قال له : كن فيكون ،  
٦٩ - آل عمران



... من اللازم دينيا قبل اللزوم العلى أن أضع التصور الاسلامى  
لرسالة سيدنا عيسى عليه السلام وعلى جميع الانبياء والمرسلين الصلاة  
والسلام لأمرين :

الأمر الأول : لبيان حقيقة ما جاء به سيدنا عيسى بعد أن ضل  
أتباعه طريق المصدر الصحيح فنخبطوا فى دياجير السياسة تارة ،  
والاقليمية تارة أخرى ، والعقل تارة نالثة دون أن يكون معهم  
مصباح يمدون به ، وليس هناك بعد القرآن ولا قبله من مصدر  
معصوم متصل السند يمكن الاعتماد عليه علميا أو دينيا .

الأمر الثانى : أن النتائج المذهلة التى توصل إليها علماء مقارنة  
الاديان بل وعلماء التاريخ فى أوربا حول ضياع الأصل الدينى الذى  
جاء به عيسى وأن رسالته قد حورت فى أطوار متعددة قد دخلها  
التنظيم السياسى بما أبعدها كلية عن أصل الدعوة التى جاء بها سيدنا عيسى  
حتى صارت نحلة مستقلة لا صلة لها بوحى السماء .

وهى النتائج التى أطلقت عليها أسم : المسيحية الرابعة ، تلك  
التي سأعرضها فى هذا الكتاب — إن شاء الله — هذه النتائج مخالفة

تماما للنصور الاسلامى فياربما يشم من عرضى أنى أدين بهذه النتائج بالنسبة لرسالة سيدنا عيسى من أجل إظهار حقيقة الرسالة من حيث هى وحى سماوى من عند الله لشعب معين فى زمن معين ، ومن أجل أبراه ذمتى فيما سأعرضه من نتائج لدراسة العلماء المسيحيين عن مسيحييتهم والتي تناولوا فيها دون ريب على الحقيقة التي جاء بها سيدنا عيسى عليه السلام ولعل عذرهم فى هذا التطول راجع إلى فقدانهم المصدر المعصوم الذى يدلهم على الحياة فى البحث والدراسة ، بدليل أن الذين توصلوا إلى هذا المصدر استراحوا عند نصوصه واعتقدوا أن ما جاء به عيسى إنما هو الذى جاء به القرآن الكريم .

مريم وولدها عيسى :

لقد تحدث القرآن الكريم عن البيئة الصغيرة التي ولد فيها عيسى عليه السلام فوصفها بأنها أسرة مصطفاة مباركة ضمن الأسرة النبوية من آدم ونوحا وإبراهيم ثم آل عمران .

يقول جل جلاله :

وإن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم ، إذ قالت امرأة

عمران رب إني نذيت لك ما في بطني محررا فتقبل مني إنك أنت  
السميع العليم ، فلما وضعتها قالت ربني إني وضعتها أنثى والله أعلم  
بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم ، وإني أعيزها  
بك وذريتها من الشيطان الرجيم ، فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها  
نباتا حسنا ، وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد  
عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق  
من يشاء بغير حساب ،

٣٣ - ٣٧ آل عمران

فالبیئة المحلیة التي ولدت فيها مريم بیثة طاهرة والولی الذی  
رعاهها نبی من أنبیاء الله والرزق الذی سبق إليها كان من نعم الله لم  
أصنعه ید بشر .

فهی تمیث فی المسجد ویرعاهها نبی ویطعمها ملک یحمل لها رزقها من  
هند الله هذه الطهور البتول لم یکن فی شباب بنی اسرائیل من یساویها  
طهارة ونقاء وكان یحیی بن زکریا حصورا وهو أصغر منها سنا وكان  
بنو اسرائیل قد أوغلو فی الغی وجاوزوا الحدود فی الضلال فأراد الله  
أن یردهم إلى الصواب بفعل خارق وأعد جل جلاله نفسیة مریم إلى  
هذا العمل الجلیل :

« إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين وبكلمة الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين ، قالت ربى أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ،

٤٥ - ٤٧ آل عمران

ليس فى مريم شىء يدفع إلى الريبة بل على العكس حياة مريم كلها طهر ونقاء وحملها لم يجر على سنن البشر بل جاء على سنة الله فى الخلق : « إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ، واشتسملت وجاءها المخاض إلى جذع النخلة وظهرت لها البركات فناداها من تحتها ألا تحزنى قد جعل ربك تحتك سرياً وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنياً ، .

٢٤ - ٢٥ مريم

وهدأت واطمأنت ... ولكن اليهود وهم دائماً قلب وهم دائماً مواربون وهم دائماً خائنون يقولون لها : « يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء ، وما كانت أمك بغياً ، .

٢٨ - مريم

لكنها كانت واثقة من حماية الله لها ، فأشارت إليه ، لكنهم قوم خونة فاسقون ، قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا .

ولا تنتظر عناية الله موافقة البشر أو رضاه فنطق عيسى ، قال إني عبد الله آتني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا ، وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا .

٣٢ - ٣٣ مريم

والنص ممتلىء بالتلويحات والمعارض :

- إنه سيكون لهم نبيا يخلصهم مما هم فيه من الغي والضلال .

- وإنه مبارك ليس كما يدعون أو يتوهمون .

- وإنه يحمل أسباب الصلة بالله وبالناس وكان اليهود قد

قاموها .

- وأنه من أم فقط دون أب وأنه بها بار لأنها طهور لم تأت به

عن طريق شائن كما ظن اليهود .

- وأنه ليس مثلهم جباراً وأنه ليس مثلهم شقيا .

في مواجهة التأويلات :

ولما تأول القوم من بعد قصة الولادة وضح القرآن الكريم

( م ٢ - المسيحية الرابعة )



حقيقة سيدنا عيسى فقال الله تعالى :

« إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبنى إسرائيل » .

٥٩ - الزخرف

فهو عبد أنعم الله عليه بالنبوة ، وجعله في بنى إسرائيل مثلاً على قدرة الله في الخلق والإبداع ليهددوا من غلواه عقلهم الجامح . ولما كان الأمر الذي افتراه الاتباع جمللاً في البهتان فقد أمعن القرآن في رد هذا التأويل الباطل :

يقول الله تعالى :

« إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكونن من الممترين » .

٥٩ - آل عمران

« ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون ، ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه ، إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون » ،

٣٤ - مريم

« إن يستكثف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ومن يستكثف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً » .

١٧٢ - النساء .

ويطول القرآن جبل الجدل مع دعاوى القوم حول عيسى فيما نسبوه إليه من الوهية أو بشرة فيبطلها كلها بأسلوبين :

أسلوب النقل على لسان عيسى .

أسلوب القدرة الإلهية .

ففيما يتعلق بالأسلوب الأول وهو الاعتراف الذي لا يرد قضائياً .

يقول الله تعالى :

« وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال : سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ، إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب » ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن أعبدوا الله ربي وربكم ، وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم ، فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد ،

١١٦ - ١١٧ المائدة

« لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل أعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وماواه النار وما للظالمين من أنصار . »

٧٢ - المائدة

وأما الأسلوب الثاني فآله جل جلاله يقول :

« وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين لو أردنا أن نتخذ  
لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين بل نقذف بالحق على الباطل  
فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون وله من في السموات  
والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون (١)  
يسبحون الليل والنهار لا يفترون ، أم اتخذوا آلهة من الأرض هم  
ينشرون ، لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدنا فسبحان الله رب العرش  
عما يصفون ،

١٦ - ٢٢ الأنبياء

ويقول جل جلاله :

« وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا  
أنا فاعبدون ، وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون  
لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ، .

٢٥ - ٢٧ الأنبياء

رسالة عيسى :

ويتحدث القرآن عن رسالة عيسى :

(١) يتعبون ويكفون .

إنها مكلمة لما جاء به موسى وهي خاصة ببني إسرائيل فقط فهي  
تكلمة وهي محكية ، يقول الله تعالى :

« ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ورسولا إلى بني  
إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة  
الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص  
وأحى الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تآكلون وما تدخرون في بيوتكم  
إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين ، ومصداقاً لما بين يدي من  
التوراة ولأهل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم بآية من  
ربكم فاتقوا الله وأطيعون ، إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا  
صراط مستقيم . »

٤٨ — ٥١ آل عمران

لقد جاء عيسى إثر موسى نبياً إلى بني إسرائيل وأعطى التوراة  
التي نزلت على موسى الإنجيل ليحل لهم بعض الذي حرم عليهم  
سابقاً .

ولذا فإن القرآن الكريم يصف كتاب موسى بأنه إمام .

يقول الله تعالى :

« ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة . »

١٢ — الأحقاف

فهو إمام لبني إسرائيل والإنجيل الذي نزل على عيسى بهذا القيد مهمته : كما قال :

« لا بين لكم بعض الذي تختلفون فيه ، » .

٦٣ - الزخرف

« ولا حل لكم بعض الذي حرم عليكم ، » .

٥٠ - آل عمران

فرسالة عيسى هي :

( أ ) رسالة موسى من حيث : توحيد الله وتنزيهه عن كل شائبة شرك .

( ب ) تحليل بعض الذي حرم عليهم سابقا .

( ح ) خاصة ببني إسرائيل ، ومبشرا بالنبي الخاتم .

« وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم فصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد . . . » .

فمن خرج عن هذه الحدود فقد غير وبدل وأفتري على الحق والدين ولطـؤلاء يأتي نداء مهذب مربي في القرآن الكريم يقول :  
الله تعالى :

يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكتبته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسوله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد، له ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلًا . . .

١٧١ - النساء

بل أن القرآن ليلفت نظر أهل الكتاب إلى حقيقة تغافلوا عنها وهي أن ادعاء البتوة ادعاء وثني قاله الجاهليون من قبل يقول الله تعالى:

يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل،

٧٧ - المائدة .

ويلفت القرآن نظر المسلمين إلى شيئين :

الأول : أن أهل الكتاب ليسوا سواء في موقفهم من الحق فبعضهم يؤمن إذا عرف الحقيقة وبعضهم يعاند مع معرفته لها .

الثاني : ألا يتخذ المسلمون منهم بطانة أبدا .

... الصورة الأولى : واردة في سورة القصص لأولئك الذين سمعوا الهداية فآمنوا فلما أراد الجاهليون تشييط همتهم قالوا : سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين يقول الله تعالى :

« الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين ، أو أئمتك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرأون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون ، وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين . »

٥٢ - ٥٥ - القصص

ومثل هذه الصورة صورة أخرى في سورة المائدة حيث بكى القساوسة - الذين أسلبوا - لما سمعوا الذكر .

يقول الله تعالى :

« لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فآكتبنا مع الشاهدين ، وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونظمت أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين فأنابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أو أئمتك أصحاب الجحيم ، »

٨٢ - ٨٦ - المائدة .

فالقساوسة والرهبان الذين تخالط قلوبهم بشاشة الإيمان يسلمون  
توا بل إنهم ليس يكون من شاة فرط فرحتهم بهذا الإيمان .

ذلك لون من ألوان مواقف بعض أهل الكتاب في جانب الصدق  
واليقين والجرأة في إعلان الحق .

الأمر الثاني : أن الصنف الذي يقف موقف العناد والجهود  
والكفر يلفت القرآن الكريم نظر المسلمين إلى أنه لا يجوز اتخاذ  
صداقة معهم أو معرفة منهم .

يقول الله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب  
يردوكم بعد إيمانكم كافرين ، وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم  
آيات الله فيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط  
مستقيم »  
١٠٠ - ١٠١ آل عمران

« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم  
خبائلا ودثوا ما عندتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم  
أكبر قد بينا لكم الآيات لئذ كنتم تعقلون » .

١١٨ - آل عمران



ومثل هذه النصوص في سورة المجادلة وسورة الممتحنة .  
وتوضح سورة آل عمران الفارق بين نوعين من أهل الكتاب  
حتى لا يتلجج المسلمون في موقفهم يقول الله تعالى :

« ليسوا سواء من أهل الكتاب أمه قائمة يتلون آيات الله آناء  
الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف  
وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين ،  
وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين .

إن الذين كفروا إن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله  
شيئاً وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون . »

١١٣ - ١١٦ آل عمران

وفي هذا المضمار من لفت النظر بوضع القرآن الكريم الغاية  
العاليا لأهل الكتاب من الصنف الجاحد الناقم ، أنهم يحاولون ردة  
المسلمين أو ازالاهم .

يقول الله تعالى :

« ودَّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً  
حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق . »

١٠٩ - البقرة

ويوضح القرآن للمسلمين علة ذلك الداء الذي حاك في صدور بعض من أهل الكتاب فيقول الله تعالى :

« قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون » . ٥٩ - المائدة  
وتطول المناقشات مع هذا الصنف ولا تنتهى إلا بالمباهنة حيث قطعت دابر المباحكات الفلسفية والجدل العقيم .

« إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تسكن من الممترين فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين إن هذا هو القصص الحق وما من إله إلا الله وإن الله هو العزيز الحكيم - » ٥٩ - آل عمران

فلم يبق أمام المسلمين عندما يطلبون للحوار والجدل إلا أن يقولوا :  
« قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأننا مسلمون » (١)

(١) يراجع حول هذا الموضوع باستفاضة كتابنا أضواء على المسيحية وكتابنا : يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء .

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

# المسيحية الأولى

المسيحية اليهودية

## إعلان حلول مملكة الله

« أعني بالمسيحية هنا ما جاء به المسيح  
من نصوص كلامه لاما الحق بكلامه  
وسيرته من التأويل ،  
نظمى لوقا

« ... لا يوجد متدين مهما كان مذهبه أو فرقته  
يعتقد أن الله العظيم قد أرسل ابنه الوحيد إلى هذه  
البشرية التي لا توازي — في مجموعها منذ بدء الخلق  
إلى نهايته — كو كبا من الكواكب المتناهية في الصغر  
لكي يعانى موتا وحشيا فوق الصليب ... لكي يساعد  
جلالته على أن يغفر للبشرية على شرط أن تعلن  
البشرية إقرارها بهذا العمل الهمجي الذي  
لا يستسيغه عقل ... »

روى ديكسون سميت

Handwritten text, possibly a title or header.

Handwritten text, possibly a subtitle or section header.

Handwritten text, possibly a date or location.

Main body of handwritten text, starting with a large initial letter.

Handwritten text, possibly a signature or name.

Main body of handwritten text, continuing the narrative or list.

Handwritten text, possibly a signature or name.

خلال حكم الامبراطور طيبريوس ظهر بإقليم الجليل شخص يدعى  
يسوع الناصري ... لقد راح يعلن عن : قرب حلول مملكة الله ،  
وينصح الناس بالخير حتى يجدوا سبيلا إلى هذه المملكة ويحصلوا  
لأنفسهم فيها على مكان ...

لقد ملأ أسماع الدنيا بأن مملكة الله وشيكة ، ودعا الناس إلى  
أن يتقربوا الانقلاب العظيم الذى سوف يطهر العالم من الظلم ، ومن  
الشر ، فمن أراد أن يحتل مكانة فى هذه المملكة بين صفوف المختارين  
فعليه بالتوبة ...

لكن إذا سألنا ما هو الدافع إلى دعوته هذه ؟

هل لأنه يحس بقوة خفية تدفعه إلى ذلك ؟ دفعا ؟ أو :

هل لأنه يحس بالرب فى أعماق شعوره وخبايا صدره كما أحس  
بذلك سائر أُنبياء اليهود من قبل ؟

هكذا يسأل المسيو شارل جنى بير ثم يجيب :

لنرجع إلى حالة شعب اليهود فى ظل الدولة الرومانية آنذاك

لتتصور مفهوم ملكة الله في أذهان سامعية وعشاقه وحوارييه ..  
كما يحملون بها ويتصورونها

إن البيئة اليهودية في عصر هيرودوس الأكبر المتوفى عام  
٤ ق.م كانت بيئة غاية في التعقيد ، نعم هي في الظاهر واحدة  
في الجنس واللغة والعادات والتقاليد بل والدين أيضاً ، غير أن  
باطنها مشئت منقسم مختلف .

والعلة الأولى لهذا الانقسام ترجع إلى ما فعله ملك بابل بتهجير  
طوائف من اليهود إلى أضفاف نهر الفرات بعد أن هزمهم  
واندحروا أمام جيوشه ... وكان ملك بابل قد هجر - فقط - العائلات  
اليهودية المعروفة بقدرتها على السطو والمنعة ، أما عامة أهل الريف  
والرعاع فقد تركهم في ديارهم يمارسون ديانة اسرائيل القديمة .

وكان اعتقاد هؤلاء العوام البسطاء يدين بأن اليهودية دين رجال  
ولذا فهم لا يتهربون من الزيجات المختلطة التي تجلب إلى عروق الشعب  
اليهودي دماء جديدة من بنات الشعوب الأخرى .

وإذا كانت هذه هي حالة التدين للبسطاء الفلاحين من عامة  
الشعب اليهودي فإن أهل المهجر قد انقسموا إلى قسمين :

(١) قسم شارك في عبادة الأصنام التي يدين بها الفاتحون الذين  
قهرروا اليهود وانتصروا عليهم .

(ب) وقسم حاول المواربة وأعمال الفكر للإتصال بالإله [يهوه] ، فراحوا يتخيلون لأنفسهم مستقبلا أفضل ، وراحوا يبحثون عن وسيلة للخلاص من الكوارث التي حلت بهم ، وأعتقدوا أن البلاء الذي حل بهم كان نتيجة لعدم وفائهم بالعهد مع إلههم ، ومن ثم وجب عليهم أن يخضعوا خضوعا تاما في عبادته للحرفية التي تدل عليها النصوص . ولهذا اتبعوا نظاما صارما ودقيقا وحريصا في تنفيذ شعارهم بحيث لم تسمح أساليب التنفيذ لشيء من شعائر الوثنية بالتحليل في دين [يهوه] .

هذا : بينما ظل إتصال هؤلاء بيني جلدتهم في بابل الذين أمدهم بالمال ، وأيدوهم بالدعاية ، وذلك ليفرضوا أنفسهم على أهل فلسطين من الذين لم يعرفوا المنفى .

أما الذين عادوا من بابل من اليهود فإنهم كانوا يرفضون الزيجات المختلطة ، وهؤلاء هم الكتبة الذين تخصصوا في دراسة الشرع وتفسيرات النصوص وشرحها ، وهم الذين أفتوا بالطهارة المطلقة كشرط أساسي للتقوى .

وبذا نجد في البيئة اليهودية أنماطا من التدين :

(١) رجال الاكبروس : الذين نشأوا حول المعبد الأعظم

( م — ٣ المسيحية الرابعة )



وزاولوا تنظيم العبادة فيه ، وهى طبقة لا تختص بدراسة الشرع ، بل هى أشبه بالطبقة المتعبدة المنحزلة .

(ب) الكتبة: وهم الفقهاء المتشاكسون المتنافسون فى تحايل أوجه معانى الكتبة المقدسة، بل ويتجادلون فيما إذا كانت البيضة التى تضعها الدجاجة فى يوم السبت تعد طاهرة ؟ أو فيما إذا كان الماء الذى يسكب فى الإناء يعتبر مدنسا حتى منبعه ؟

وكان الشعب اليهودى يطبع رجال الدين لأنهم المرشدون القوميون ، فالجبر الأعظم هو وحده المنوط به تمثيل إسرائيل أمام الأسياد من الفرس أو الأغريق .

كما أن الشعب اليهودى أيضا يبدى إعجاباه بالكتبة لأنهم العلماء المدققون الباحثون الفاهمون الممتنون .

غير أن الحقيقة التى كان يتمسك بها هذان الصنفان من قادة الدين فى شعب يهود ، أنهم لم يؤثروا فى روح الشعب ولم يروا ظمأه إلى التقوى ، فإننا نرى فى تاريخ هذا الشعب فى تلك الحقبة من الزمن أنه كان يسير بالتدرج نحو التشدد الدينى فكان يقاوم المؤثرات الخارجية بقدر ما كان يستطيع ، وكان يبدى غضبه لميل هؤلاء القادة إلى الأخذ بأطراف التيارات الثقافية اليونانية .

وكان شعب يهود يؤمن بأن الإله [يهوه] قادر على كل شيء  
ولذا فهم لا يفرقون بين الظواهر الطبيعية وبين المعجزة ، بل إنهم  
ليفسرون كل ما يوحى بالدهشة والحيرة أنه من صنع الإله أو الشيطان  
لذلك فإنهم مقتنعون بأن تلك الثورة الكبرى التي يأملونها لا بد لها  
من أن تقوم متى شاءها [يهوه] ولذا فقد ظلوا يترقبون بوادرها  
عاما بعد عام .

هذا هو مفهوم حلول مملكة الرب التي يحلم بها شعب يهود أو  
شعب [يهوه] .

فهل ما نادى به يسوع كان موافقا لهذه الآمال والأمانى ؟

يقول المسيو شارل جنى بير :

لم يتحدث يسوع إلى الشعب باللغة التي كان ينتظرها منه ، لقد  
كان يدعو إلى :

- \* التأمل في النفس .
- \* حب الغير .
- \* التواضع .
- \* الإيمان العميق بالله .

بينما الناس يترقبون دعوة إلى الصراع المسلح وإعلان الجهاد

الأكبر ، لقد خاب أملمهم لأن المسيح الذي اختاره [يهوه] لم يطلب منهم العمل والكفاح بل رجاهم الصبر والتحمل واتخاذ موقف أخلاقي وديني وذلك في صورة تجعل من هذا الصبر وهذا الاحتمال فرضا حتميا فيه ما فيه من القسوة على النفس والمشاعر .

لقد كان عيسى من أبناء إسرائيل ولكنه لم يتعصب لقومه ولم يتخذهم في غالب الأمر موضوعا لدعوته (١) فقد كان يستوى في نظره الجندي الروماني التقي المؤمن، أو المرأة الكنعانية المخلصة ، بالمهودي الأصلي الذي يأتيه معلنا تصديقه له .

كان عيسى يتحدث كثيرًا عن :

العدل ، والسلام ، وعن شوق النفس إلى الوصول إلى سماه الرب ، كما كان يتحدث عن : التوكل ، وعن الصبر .

ولكنه لم يصرح قط بوجوب الثورة ، أو بقرب انتصار شعب الله المختار على سائر الأمم ، وفي ذلك كله نجد حديثه لم يكن ليشير صدى أهل فلسطين المتلهفين إلى يوم الانتصار الموعود . . . ١١

---

(١) لا نوافق مسيو شارل على هذا الفهم كما لا نوافقُه تصومس الاناجيل التي تنص على أن عيسى لم يبعث إلا إلى خراف بني إسرائيل الضالّة ، بل لأنه رفض الاستماع إلى المرأة الكنعانية وقال لها : مالي ومالك يا امرأة . . .

ومن هنا حكم المسيو شارل جنى بير بأن عيسى أخفق في دعوته وذلك لأن :

(١) علماء الدين رأوا فيه رجلا جاهلا يتناول عليهم ويعتقد في سذاجته أن الحكمة يمكن أن تحل محل العلم ، وأن البصيرة يمكن أن تغنى عن المنطق .

بل أننا إذا حللنا النصوص العديدة التي يعارض فيها المسيح علماء فلسطين اليهود ، وبخاصة تلك النصوص التي كانوا يحاولون استدراجه بالاسئلة الماكرة ، فإننا لا نجد بدا من الاعتقاد بأن نزاعا خفيا مستمرا كان يسود علاقة المسيح بهم .

وعلى أية حال فقد كان المسيح يحترم الشرع وييدى تمسكا به ولكنه لم يجعل منه همه الأول ، بل أظهر استعدادا لأن يعطى إلهام التقوى الماكاة الأولى قبل تعليمات رجال الدين .

(ب) وقساوسة القدس ، والطبقة الممتازة من اليهود كانوا يعتبرونه أكثر الفوضويين خطورة ، وأضرهم بمصالحهم ، لقد كان في نظرهم خطرا عليهم لأن دعوته تشير في جموع الشعب حركة من تلك الحركات الغنيقة الحمقاء التي يتشدد الرومان دائما في قمعها ،

والتي تملق بال أهل المعبد ، بل وكانوا يرون في تحدّثه إلى الطبقات الدنيا من الناس بقصص ومقارنات لا يمكن أن يؤدي مغزاها إلا إلى إظهار عيوب رجال الدين وإضعاف مركزهم . . ولذا فهم لا يؤمنون به ولا يحبونه .

( ج ) أما الشعب اليهودي العام فقد تميز شعوره بالتردد تجاه دعوة المسيح أكثر من ميله إلى مقاومتها .

لقد أذيع أنه أكثر في ربوع فلسطين من فعل المعجزات ، لقد شفا المرضى والعجزة ، وبدأ بعض الناس ينسب إليه أحياء بعض الموتى ، بينما راح الأعداء من الشعب يدشرون : أن كل تلك الأعمال الحارقة مرجعها الشيطان . . ومع هذا فقد ظل البسطاء من الشعب على حيرتهم .

ويرى المسيو شارلو جني بير : أن المسيح لم يؤسس شيئاً ولم يأت بدين جديد ، ولم يأت حتى بأى من طقوس العبادة جديداً .

إنه لم يأت إلا بتصور شخصي فريد للتقوى في إطار الديانة اليهودية ، تلك الديانة التي لم يزعم قط أيه ينبغي التغيير من معتقداتها أو من شرعها ، أو من شعائرها .

بل أن كل دعوته تنحصر في :  
فكرة حلول مملكة الله التي آمن بها هو كما آمن بها سائر  
مواطنيه .

بل إنه ليجدر بنا أن نشير إلى أن الطريقة التي عبر بها عن هذه  
الفكرة لم تكن أصيلة لديه ، بل لعله أخذها عن غيره من سابقيه ،  
أما أن تلصق إليه أرادة تأسيس كنيسته هو ... كنيسة تختص  
بالعبادات والطقوس التي يعينها جميعاً ... فهذا قول لا يقره واقع  
الأحداث ولا صريح التسلسل التاريخي .

ولن نتعدى الحق إذا أضفنا : أن كل ذلك لا يمكن اعتباره  
إلا تحريفاً لفكرته ، وأنه لم يكن ليرضى عنه قط لو نمت إلى علمه  
منه شيء .

... وإذن فميسى نبي الله لبني اسرائيل ، ودعوته : قرب حلول  
مملكة الله وهي الأمل الملمشود لشعب يهود واسكنه لم يدع إليها  
بالجهاد الأكبر بل دعا إلى الصبر وحسن التحمل ، ولذلك أبغضوه  
وكرهوه ، وكفروا به .

ومن هنا فإن الكاتب الفرنسي موريس بوكاي يسمى هذه المسيحية  
باسم : اليهودية المسيحية ، ويجعلها معادية للمسيحية البولوسية

وهي تسمية تتمشى مع ما استعرضه المسيو شارل جنبير في دراساته الموسعة عن المسيحية وتأكيده : أنها ديانة يهودية بالدرجة الأولى . واستمع إليه وهو يقول :

المسيحية تنبع أساسا من حركة يهودية ، وهي لا تبدوا ولا وعلى وجه التخصص كظاهرة تهم الحياة الدينية لليهود ، وتميز بها البيئة الفلسطينية ، ولا يمكن تصور قيامها خارج نطاق العالم اليهودي (١) .

إذن : المسيح لم يدع إلى قيام دولة ولا إلى جهاد مقدس ، ولا دعا إلى خلاص شعب يهود من حكم الرومان .

وإذن : فالمسيح لم يسم نفسه : المسيح المنتظر ، ولا وعدهم ببعث المصلوب ...

يقول شارل جنبير :

فن المؤكد . . أن الروايات الأصيلة لم تجهر صراحة بأن عيسى قد أعلن نفسه مسيحا ، وإنما لنجد نفس الشك تجاه ما يسمى بـ "دسر البعث" ، أى : تلك الوصية التي يروي انجيل مرقس أن

---

(١) راجع كتاب المسيحية . شارل جنبير بير ترجمة الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود للفصل الاول . وكتاب دراسة للسكرتير المقدسة موريس بوكاي ص ٧١ وكتاب : منبعنا الاخلاق والدين : هنرى برجسون ص ٢٥٦ .

عيسى أوصى بها تلاميذه في مناسبات مختلفة مع كثير من التشدد والإلحاح : بأن لا يفشوا شيئاً لما قد يتخيلونه أو يكشف لهم عنه من حقيقة مكانته . .

ما هو الهدف الذي كان يبغيه من إخفاء حقيقة شخصيته والتسكتم على رسالته في نفس الوقت الذي كانت فيه دعوته بحاجة ملحة إلى إعلان سرها لتحقيق مغزاها ؟

والنتيجة الأكيدة لدراسات الباحثين هي : أن عيسى لم يدع قط أنه المسيح المنتظر ، ولم يقل عن نفسه أنه ابن الله ، وما ذلك سوى خطأ لغوي فاحش ، وضرب من ضروب السفه في الدين .

كذلك لا يسمح لنا أى نص من نصوص الأناجيل باطلاق تعبير ( ابن الله ) على عيسى ، فذلك لغة لم يبدأ في استخدامها سوى المسيحيين الذين تأثروا بالثقافة اليونانية .

بل : انها اللغة التي استخدمها القديس بولس كما استخدمها مؤلف الانجيل الرابع .

ولو أراد — عيسى — أن يتخذ لقباً ، لا يتخذ لقب : ( ابن داود ) المعروف بين بني إسرائيل ، والذي كانوا يعتبرونه لقب : المنقذ



المنتظر ، ولكنه - أى المسيح - لم يفعل .. وهو كذلك لم يتخذ اللقب الذى يبدو أن أناجيلنا ترى فيه أخص خصائص شخصيته ورسالته ألا وهو : د ابن الإنسان ، أو على الأقل : فهو لم يستخدمه فى معنى : المنتقد المنتظر ، فاليهود فى ذلك العصر كانوا يجهلون هذا المعنى لتعبير : ابن الإنسان ، وإن كان النص المشهور من كتاب دانيال يقول :

كنت أنامل فى رؤى الليل فإذا بي

أرى قادمة على سحب السماء . صورة

كصورة د ابن الإنسان ، ٧ / ١٣ - ١٤

فإن هذا النص لم يستخدمه كهنة اليهود فى تصوير مجيء المسيح المنتظر ولم يدخل معابدهم بهذا المعنى إلا فى عصر متأخر تحت تأثير المسيحية التى أذاعته (١) .

ومع ما يكنه المستر جروف سامويل من تعصب شديد للمسيحية فإنه لا يقدر أن يخفى أنها يهودية الأصل والمتبع يقول :

---

(١) شارل جنى بير: المسيحية نشأتها وتطورها ص ٤٠ .

لا بد للكلام عن المسيحية من التوسط بالـكلام عن اليهودية التي تعد المسيحية وليدة منها (١).

وإلى هذا الاتجاه يسير هنرى برجسون في فهمه للمسيحية يقول :  
ويمكن أن يعد المسيح متمماً لأنبياء بني إسرائيل ، فما لا شك فيه أن  
المسيحية كانت تحولا عميقاً لليهودية ، وقد قلنا هذا غير مرة : أن  
هذا الدين الذى كان لا يزال قومياً في جوهره قد حل محله دين آخر  
قادر على أن يكون عاماً ، (٢)

يقول أرثر فندلاى :

لقد خاب الحواريون في زعمهم في المسيح حتى انبرى لهم بولس  
المدعو رسولا ورأى في هذه من بلبلة الأفكار أن يجمع شتات الفكر  
في عقيدة يركز بها ويبشر فكان أن اعتبر شخصية عيسى عليه السلام  
ملكاً مخلصاً ، ولعله استقى هذا الاعتبار من الديانة السائدة في  
تلك الأيام .

ويؤكد أرثر فندلاى هذه الحقيقة في كتابه : صخرة الحق ، فيذكر

(١) جروف سامويل كتاب : المجتمع ومشاكله ص ٢٦٣ .

(٢) هنرى برجسون كتاب : منبع الاخلاق والدين ص ٢٥٦ .

سنة عشر إلها مخلصاً ، بتشديد اللام ، عرفوا قبل مجيء المسيح ،  
وهؤلاء في توابعهم وحبهم لبني قومهم ماتوا لأجل خطايا العالم وسمى  
كل واحد منهم إلها مخلصاً وأعطى لقب المسيح (١)

فالمسيحية الأولى التي جاء بها عيسى هي :

رسالة موجهة بالدرجة الأولى إلى اليهود ، فهي ديانة يهودية  
أولا وقبل كل شيء ثم اليهود الذين آمنوا بعيسى صيروها يهودية  
مسيحية أو مسيحية اليهود .

---

(١) محمد في التوراة والإنجيل والقرآن ص ٤٦ — ٤٧ .

## الاضهاد والتحليل العلمى

غير أن التحليل العلمى الذى قام به جلة من علماء مقارنة الأديان المسيحية فى جامعاتهم المسيحية لم يجهلهم يغمضوا العين عن الاضهاد الذى نشأت فى أجوائه حياة يسوع ففى انجيل متى :

[ حينئذ دعا هيرودس المجوس سرا  
وتحقق منهم زمان النجم الذى ظهر ، ثم  
أرسلهم إلى بيت لحم وقال : اذهبوا  
وأفحصوا بالتدقيق عن الصبي ، ومتى  
وجدتموه فأخبروني لكي آتى أنا أيضاً  
وأسجد له .

... فلما رأوا النجم فرحوا فرحاً عظيماً  
جداً ، وأتوا إلى البيت ورأوا الصبي  
... ثم فتجوا كنوزهم وقدموا له هدايا  
ذهباً ولباناً ومرراً ، ثم إذا أوحى إليهم  
فى حلم أن لا يرجعوا إلى هيرودس انصرفوا

(١) راجع تحقيق هذا الادعاء فى كتابنا : آلهة فى الاسواق : المقالة الرابعة .

في طريق آخر إلى كورنتهم، وبعد ما انصرفوا  
إذ أملاك الرب قد ظهر ليوسف في حلم قائلاً  
قم وخذ الصبي وأمه واهرب إلى مصر وكن  
هناك حتى أقول لك لأن هيردوس مزعم  
أن يطلب منك الصبي ليهلكه .

متى الاصحاح الثاني الفقرات من ١٥/٧

فالنص يفيد أن يسوع ولد وسط جو عدائي من الدولة ، يقول  
مسيرو جني بير :

على أي حال فإننا نعتقد أن الحاكم الروماني كان يعرف الملممين  
من اليهود من قبل ، ويعرف أيضاً أنه يجب عليه الاحتياط منهم ،  
لذلك لم يكن من العسير على العلماء والقساوسة أن يقنعوه بخطورة  
هذا الرجل من أهل الجليل الذي لا أصل له ، ويقنعوه كذلك بضرورة  
وضع حد للفوضى التي يثيرها حفاظاً على النظام . فأمر بيلاطس  
بالقبض على عيسى ، وحاكمه ، ووصلبه ، ولم يتدخل الشعب في شيء .

ولم يكن عيسى قد توقع ما حدث له في القدس ، وارتباك أتباعه ،  
وهروبهم هو الدليل الواضح على ذلك .

ولقد بدأ وكأن حكم بيلاطس العنيف كان الضربة القاضية على  
أحلامه ، والقاصدة لدعوته ...

ومن المرجح أن نفسه قد تملكها القلق أو آخر أيامه فيما  
تعلق بالمستقبل<sup>(١)</sup> والحيرة فيما يتعلق بالحاضر، ولم لا ؟ لقد تملكه الشك  
في ذاتها ، وأقضتها فكرة الموت الذي أقرب ، ولم يحقق من دعوته  
[ ملكة الله ] شيئاً ، غير أننا - يعنى مسيو شارل - لا نجد من الأدلة  
ما يسمح لنا بالقول : بأنه رأى حينئذ أن صلبه أمر ضرورى لإتمام  
رسالته ، بل كلها تشير إلى أنه لم يدع قط شيئاً من هذا .  
والحق يجب أن يقال : ما دامت المعجزة التي بشر بها لم تنحقق  
وهي : ملكة الله ، وما دام [ يهوه ] لم ينشر ظله على الأرض فما عسى  
أن يفعله عيسى سوى أن يلجأ مسرعاً إلى الجليل ، أو أن يخنى رأسه  
أمام قدره المحتوم . ؟؟

ولعله يكون قد فكر في العودة إلى مسقط رأسه ، وقد ظن البعض  
ذلك اعتماداً على انجيل متى الذي يروى أنه ضرب لأتباعه موعداً  
بالجليل ... وعلى أى حال فلم تتم له فسحة من الوقت كافية لتحقيق  
هذه الخطة إن كان اختطها<sup>(٢)</sup> .

(١) هذه النتيجة التي توصل إليها الباحث واضحة في قوله تعالى : « فلما أحس عيسى  
منهم الكفر ... الآية . »

(٢) يتصرف عن المسيحية شارل جنى بير ص ٤٧ - ٤٨ .

وهكذا يصور لنا المسيو شارل جني بير حياة عيسى في جو رهيب من الاضطهاد ، ويفسر لنا الصلب على أنه كان نهاية للفوضى التي أصابت حكم الدولة فوضعت لها حدا بهذا الإعدام البشع في الأسلوب والمظهر ، وأن الأتباع لم يحركوا ساكنا لإنقاذه ، بل حتى ولا الشفاعة من أجله .

وفي متى نص يحرم التلاميذ إذ يقول : حينئذ تركه التلاميذ كلهم وهربوا .  
الإصحاح ٢٦ فقرة ٥٦

قال لهم بيلاطى فماذا أفعل يسوع الذى يدعى المسيح .

قال له الجميع : ليصلب ، فقال الوالى : وأى شر عمل ؟ ، فكانوا يزدادون صراخا قائلين : ليصلب ، فلما رأى بيلاطس أنه لا ينفع شيئا بل الحرى يحدث شغباً ، أخذ ماء وغسل يديه قدام الجميع قائلاً : إني برىء من دم هذا البار أبصروا أنتم ، فأجاب جميع الشعب وقالوا : دمه علينا وعلى أولادنا . حينئذ أطلق لهم باباراس ، وأما يسوع فجلده وأسلبه ليصلب

متى الإصحاح ٢٧ فقرات ٢٢/٢٦

إذن فضيحة الصلب فيما يبدو اوضعت حدا لمحاولة عيسى إثارة الشغب

كما عبر عن ذلك في إنجيل متى ولذا يصف عمله ونشاطه مسيو شارل بقوله :

لقد قام بالتبشير بأحداث لم تتحقق ثم مات ، وتشعبت أتباعه في ذعر شديد ، وذهبوا إلى حد التنكر للأمل الذي غرسه الأستاذ في قلوبهم فذهبوا على الخطأ الذي وقعوا فيه جميعاً<sup>(١)</sup>

\* \* \*

وتلك خاتمة المسيحية الأولى — يهودية المسيحية ، أو مسيحية اليهود التي عاشت في بيئتها اليهودية مضطهدة مبغوضة مكروهة من رجال الحكم ، ومن أغنياء اليهود ، ومن رجال المعبد ومن فقهاء الشرع ومن المتدينين بشريعة موسى فيما يزعمون .

(١) بتصرف عن شارل جنى بير من كتابه المسيحية ص ٤٨ .  
( م ٤ — المسيحية الرابعة )



Handwritten text at the top of the page, possibly a title or header.

Main body of handwritten text, consisting of several lines of cursive script.

Handwritten text at the bottom of the page, possibly a signature or footer.

## المسيحية الثمانية

### تهيؤات الحواريين

كانت دعوة عيسى لديهم مرتبطة بشخص عيسى نفسه ، فإن هم أقروا باختلافه إلى الأبد كان ذلك إقراراً بالتخلي عن كل أمل لهم في تحقق كلمته ، وتبلور إيمانهم وركز على فكرة واحدة ثابتة هي قولهم لأنفسهم :

لا يمكن أن يكون عيسى قد تنكر لنا ،  
ولا يمكن أن يكون موته أمراً نهائياً ...

شارل جني بير

وكانت فكرة حلول مملكة الله الفكرة الأساسية في دعوة عيسى أما دعوة الحواريين فقد تحولت إلى فكرة ركيزة هي : أن عيسى هو المسيح الموعود وإلى قرب عودته إلى هذه الدنيا .

شارل جني بير



## المسيحية الثانية

تهيئات الحوارين

عودة المسيح المنتظر

كانت فكرة قرب حلول ملكة الله هي الفكرة الأساسية في دعوة عيسى فلما انتهى أمره إلى الصلب أصيب الاتباع بخيبة أمل كبرى فراح خيالهم الفسيح يؤول الوقائع المادية إلى معاني خيالية .

لقد قالوا إن عيسى لم يمت إلا ليعث ، والبعث هو الدلالة العظيمة على التشريف الذي خص به يسوع .

وطور المؤولون هذا التفلسف إلى أن قالوا: إن الموت الذي وقع على عيسى بالصورة التي تم بها هو السر الأعظم والهدف الأول من حياة عيسى ومن عمله .

ولهذا قال الحواريون : ان عيسى هو المسيح الموعود وان غودته إلى هذه الدنيا قريبة .

وأعمال الرسل توضح أن الأثني عشر حواريا من أصحاب عيسى سوف يعودون إلى القدس لشرح هاتين الفكرتين :-

● عيسى هو المسيح المنتظر

● وعودته إلى الدنيا قريبة

والمحللون المسيحيون هذه الحقبة من الزمن يقولون :

إنه لا مناص لنا من الاعتراف بأن هؤلاء الأصحاب كانوا  
يمتازون بخيال دافق يزيد عن الحد ، إذ أن المنطق وواقع الأحوال  
كانا ما يثبتان في صراحة تامة بأنهم لن يلاقوا من النجاح أكثر مما  
لاقاه سيدهم يسوع وأنهم لا بد سارون إلى نهاية مثل نهايته .

و بتتبع التاريخ الكليسي نجد أن هؤلاء الأتباع أثاروا عداوة  
الكنيسة والكهنة وكونوا حولهم موجة من الكراهية سببت لهم  
ألوانا من الأضطهاد والتعذيب والتشريد حتى بدأ للعيان ضعف أمرهم  
وأصبح مما لا جدال فيه أن هؤلاء القوم سوف يفنون بفناء الجيل  
الذي نشأت فيه دعوتهم ، وأن ذكرى . إتباع عيسى الناصري  
سوف يطويها النسيان كما طوى من قبل إتباع يوحنا المعمدان وغيره  
من أنبياء بني إسرائيل .

من هنا يظهر أن عمل الحواريين قد اكتتفه عدة عوامل .

الأول : أن حبهم لاستاذهم أحدث لهم تهيؤات عوضتهم عن  
النكسة التي فاجأهم بها صلب يسوع .

الثانى : أن الجو الإرهابى ظل يلاحقهم .

الثالث : أن اليهود فى المهجر كانوا قد انتشروا حول حوض البحر الأبيض ولكنهم مع هذا لم ينسوا أصلهم ولا دينهم و عملوا على الحصول على حقوق خاصة لهم داخل الدولة الرومانية القديمة حتى منحوا إمتيازات بدستور فعلى يحمهم فى سائر أرجاء الأمبراطورية .

غير أن هؤلاء لم يحتفظوا بالصورة الكاملة لروح أخوانهم فى الدين من أهل فلسطين فقد لانت عاداتهم ولان معاهداتهم للأجنبي فى ربوع الأمبراطورية فتأثروا بالثقافة اليونانية .

ولهذا نرى أن العقائد التى اعتبرها يهود فلسطين عقائد أساسية قد خفت وذابت لدى أخوانهم ببلاد اليونان .

وكان اليهود فى بابل وإيران قد نالهم شىء من التأثير العقدى والدينى طردا وعكسا إلى درجة أن التأليف الدينية فى هذه البيئة قد اتخذت من اليهودية عنصراً لقيام الدين الجديد الماندائية وهى نوع من الخلط الدينى من اليهودية والعقائد البابلية الوثنية وهذا يعطينا فكرة أن الأديان فى آسيا شاركت فى فكرة ترهب أو عبادة ( منقذ إلهى ) وأن تفاوتت أشكال هذا الترهيب ولهذا فإن التبشير بهذه المملكة لم يكن من الحواريين الذين كانوا فى فلسطين

يقول شارل جنى بير :-

لم يكن أصحاب عيسى هم السبب في هذا النشاط ، بل لم يكن يدور بخلداهم تبريره ولكنهم بعثوا إلى أنطاكية برسول مؤمن هو برنابا ليدرس الموقف الذى يبدو أنه أثار لديهم والشكك والقلق .

والم الذى حدث فى انطاكية كان نتيجة للمعارف التى تلقوها أهلها من الحواريين المقيمين فى فلسطين لأن مجموعة أعمال الرسل تقضى : - أن الحواريين إستملوا إلى عقيدتهم يهود اليونان الذين وفدوا إلى القدس للأحتفال بالأعياد ومنهم فرقة عادت إلى هناك وبقيت فئة أخرى لكنها لم تلبث طويلا لأنها طردت أمر مقتل الشماس ( أننين ) على أيدي القضاة اليهود<sup>(١)</sup> فرحل هؤلاء إلى فينقيا وقبرص ، وانطاكية ، حيث راحوا بدورهم يبشرون بعيسى فى المعابد<sup>(٢)</sup> .

والم يكن أصحاب عيسى إذن هم السبب فى التبشير خارج القدس بل لم يكن يدور بخلداهم هذا لأنه لم يكن فى مقدورهم أن يقوموا بمثل هذا النشاط لأن الأخطار تهددهم من كل جانب بل أن فكرة

(١) معنى شماس معاون وهو لفظ سريانى راجع أعمال الرسل ٩/٦ ، ٧ ، ٧٧

(٢) راجع أعمال الرسل ١١/١٥ .

حلول ملكة الله التي دعا إليها المسيح ، وفكرة عودة السيد المسيح التي يدعيها الحواريون وضرب من الادعاء لا يصمد مع طول الزمن إذن : لم يقدم أصحاب يسوع شيئاً للتبشير بأستادهم عودة أو دعوة ( حلول ملكة الله ) وإنما الذي بشرهم الأتباع الجدد الذي دفعهم الحماس لتكريس جهودهم بإخلاص لمواصلة هذا العمل .

وفي مقدمة هؤلاء الأتباع الذين ليسوا من الحواريين برنابا يقول شارل جني بير : - أن حماس الأتباع الجدد لم يلبث أن أنتقل إلى برنابا الذي رأى ظاهرة انتشار الدعوة نفحة إلهية فكرس كل جهوده في إخلاص عميق لمواصلة هذه المبادأة المشمرة في مجال العمل التبشيري ورحل إلى طرطوس حيث كان يقيم بولس ...

ولهذا فإنه من العسير جداً أن يتعرف الباحث على وجه التحديد بالدور الذي قام به الحواريون .

إن الحق يقال : أن الأثنى عشر لم يلاقوا في القدس من النجاح سوى القدر اليسير الذي كان يمكن لأي رجل منصف أن يتوقعه لقد كسبو بضع عشرات من الناس مثلها هو الحال بالنسبة إلى كل فرقة دينية جديدة ، وحافظوا على صلوات طيبة مع الشعب بفضل شدة تمسكهم بالتقاليد اليهودية ومواظبتهم على زيارة المعبد .



ولكنهم أثاروا عداوة الكتبة والكهنة واحتقارهم ولا قوا  
منهم ألوانا من الاضطهاد لقد تجمع الاتباع حول بطرس لإعادة بناء  
الحلم الضائع [ حلول ملكة الله ] ومحاولة استرجاع الآمال التي غرسها  
استنازهم لكنهم كانوا :

(أ) سذج بسطاء ليس لهم شأن بين قومهم كما أنهم لا يمتازون  
بثقافة كبيرة .

(ب) واقتصروا على الرغبة في دفع خراف بني إسرائيل الضالة  
نحو طريق النجاة .

(ج) وكانوا شديدي التعصب لبي جلدتهم بل أنهم فاقوا في  
ذلك عيسى نفسه .

ولهذا فإن فكرة التبشير بين الوثنيين كانت بعيدة كل البعد عن  
عقولهم وأحلامهم . بل إنه كان حسب الواقع الذي يعيشون فيه :  
أن التبشير بالإنجيل بين رجال لم يؤمنوا بالعتيدة اليهودية ضرب  
من المستحيل (١) .

ولهذا انحصرت دعوتهم في القدس حول : عودة السيد المسيح  
وهو ضرب من الادعاء لا يتحمل الصمود أمام عوامل الزمن

ولهذا فإنه من الصعب الاعتقاد بأنهم قاموا بأعمال خارقة بل من المؤكد أنهم لم يكونوا يستطيعوا ذلك .

وإن خانمه حياتهم لتبرهن على ذلك بوضوح وصدق لأن بطرس ويعقوب الأكبر ويعقوب الأصغر وأيضاً حنانياً حقيقة الأمر قد ماتوا اقليل ويوضح ذلك الأمر باستفاضة الاستاذ زكي شوده المحامي المصري في كتابة تاريخ الاقباط .

وقد اشتد هيرودس الملك على المسيحيين فقتل يعقوب أخا يوحنا وسجن بطرس وعذب سائر الرسل وأهانهم (١) .

ويقول عن متى :

يدعى لاوى بن حلفي وكان من العشارين أى جياة الشعور وهي الضرائب وقد كان من أوائل من أختارهم المسيح . . . بشر في فلسطين وفي صور وصيدا، ثم انطلق إلى بلاد الحبشة وصنع بها عجائب . . . ومن ثم أطاق الملك عليه جنوده فامسكوه وضربوه ضرباً مبرحاً حتى مات شهيداً .

ويقول عن مرقس :

اسمه يوحنا أما مرقس فلقبه وأصله من اليهود القاطنين من الغرب في شمال أفريقيا هاجر أبواه إلى فلسطين وكان من أوائل الذين آمنوا

بالمسيح فاختره ضمن السبعين وفي بيته حل روح القدس على التلاميذ،  
بشر في أنطاكية وأسيا الصغرى وقصد إلى مصر فأسس كنيسة لها وكان  
أول بطريرك بها ثم غادرها إلى روما حيث وقع في الأسر مع بولس..  
ثم عاد إلى الإسكندرية وراح يدعو إلى الإيمان فقام عليه الوثنيون  
وراحوا ينسكون به ويعذبونه حتى مات شهيداً .

ومات لوقا شهيداً في مدينة بتراس (١) .

ويؤكد ضعف قيام الحوارين بدعوتهم السيد شحادة خوى  
وأخوه نقولا في كتابهما : خلاصه تاريخ كنيسة أورشليم الارثوذكسية  
بقولان حدث يوماً بينما بطرس كان صاعداً إلى الهيكل ان بصر  
بمخلع في باب الهيكل فشفاه فتمون الكتبة والفريسيون ورؤساء الشعب  
اليهودى من اليعاقبة فأتاروا اضطهاداً عنيفاً على المؤمنين وقبضوا على  
بطرس فطرحوه في السجن واشتهر أحد الشمامسة السبعة واسمه استفانس  
بتقواه فقبض عليه اليهود وورجموه بالحجارة مدعين أنه جدف على الله  
وعلى موسى .

وكان هذا الاضطهاد مدعاة إلى التبشير والكرانه خارج  
أورشليم (٢) .

(١) تاريخ الأقباط ص ٧٦/٧٥ .

(٢) — ص ٣/٢ .

فان المؤمن لخوفهم من اليهود تشتتوا في مدن فلسطين وقرأها  
ولهذه الاعترافات من هؤلاء المسيحيين كان حقاً ما قاله العالم الفرنسي  
جنى بير : -

لم يؤمن اليهود بعيسى أثناء حياته فكيف يتعلقون به بعد مماته  
وقد تجمعت الدلائل على أنه غرر بهم . حتى بنفسه فلم يستطع لها تجاه  
يوم التعذيب بل مات بانسا والناس تنظر إليه .  
أيقولون أنه قد بعث ؟

واسكن من هم اليهود على ذلك ؟  
إنهم هم الاتباع فحسب فما أضعفه من برهان .  
وتدعى بعض الأساطير اللاحقة أن اندريا قد ارتحل إلى بلاد  
السيخ بينما توجه يعقوب الأكبر إلى اسبانيا وأخوه حنا إلى  
آسيا الصغرى وتوماس إلى الهند والصين وبطرس إلى روما . وليست  
قصصهم جميعاً بالضاربة في الخيال إلا أن الجزم بصحة أى منها أمر محال  
والنتيجة : -

أنه أصبح هؤلاء المسيحيون ينظرون إلى المسيحية نظرة استياء .  
أما الروح الجديدة التي أحييت المسيحية فقد انتها أنها من بيئة أخرى  
والخلاصة : أن عمل الحواريين كان ضعيفاً من حيث المهمة وكان قاصراً  
على البيئة اليهودية من حيث الدعوة وأنهم بدلوا دعوه عيسى من :

(١) المسيحية جنى بير ص ٦٦ ، قصة الحضارة ج ١١ ص ٢٤٤ .

قرب حلول مملكة الله

إلى

عودة يسوع المنتظر وإلى قرب عودته

- \* وأنهم فشلوا تماما في اقناع اليهود بهذين الشعارين
- \* وأن التبشير خارج فلسطين في يهود المهجر كان من الأتباع اليهود الذين طردوا أو الذين جاءوا للزيارة
- \* وأن المجتمع العالمي قابل المبشرين بالضرب والرجم والقتل وأن هذا السطور من هذه الديانة لم يعد الفكرة اليهودية الأولى التي دعا إليها عيسى ولم ينجح

## المسيحية الثالثة

### مسيحية بولس

وكان بولس على علم بأن عملية الختان لا يرضى عنها أهل اليونان ، وبأن أغلب أحكام الشريعة اليهودية للحياة العملية لا تتفق مع عاداتهم وأساليب تفكيرهم فلم يلبث أن آمن بأن تعاليم هذه الشريعة قد نسختها تعاليم المسيح بل إن المسيح أتى خصيصاً ليبدل عهداً قديماً بعهد جديد ، وأذعن الإثنا عشر لبولس مرة أخرى ، فقبلوا فكرة إعفاء الأتباع الجدد في ديار الوثنية من أحكام شريعة اليهود ، وكان المعنى الضمني لهذا الإجراء التفرقة بين المسيحية واليهودية ودفع الأولى إلى أن تصبح ديناً متميزاً .

شارل جني بير



## المسيحية الثالثة

### المسيحية البولوسية

بولس - شاول

وما زالت المسيحية إلى هذا الطور تعيش داخل بيئة ديكتاتورية  
أسلوبها القهر والسكرامية والتعذيب للفكرة اليهودية - المسيحية التي  
اعتبروها مصدر قلق وعبث وفوضى والتي راح ضحيتها الأستاذ  
والأتباع ...

وكان بولس-شاول من مخبرات هذا العهد الذي أمعن في اضطهاد  
أتباع الأستاذ المعلم يسوع .. لكنه فجأة يتحول إلى [ المسيح المنتظر ]  
لأنه الذي خالص المسيحية من كثير من العثرات .. فقد وصفه شحادة  
بقولا بأنه : الذي اعتر به الدين المسيحي (١) .

ويصفه زكي شنوده بأنه : قام بأعظم عمل تبشيري في تاريخ المسيحية  
غير أن الحكم عليه بهذه السهولة أمر مخالف للبحث العلمي

(١) خلاصة تاريخ كنيسة أورشليم الأرثوذكسية ص ٤ .



ومخالف للحقيقة التي يجب أن يشدها طالبو المعرفة الصحيحة والذي يجعلنا بهذا نقضى كثرة النصوص التي تصور شاول - بولس بالإجرام وتهمه بالتجسس لحساب الامبراطورية ضد الاتباع والقسس .

ففي الأصحاح ٨ الفقرات ١ - ٣ يقول في أعمال الرسل :

أما شاول فكان يسطو على الكنيسة وهو يدخل البيوت

ويجر رجالا ونساء ويسلمهم إلى السجن .

وفي الأصحاح التاسع الفقرة يقول :

أما شاول فكان لم نزل ينفث تهدأ وقتلا على تلاميذ الرب

ويقول في نفس الإصحاح في الفقرة ٢٦

ولما جاء شاول إلى اورشليم حاول أن يلتصق بالتلاميذ وكان الجميع يخافون غير مصدقين أنه تلميذ فأخذه برنابا وأحضره إلى الرسل لهذا فليس من السهل علمياً أن يوصف بأنه هو الذي اعتزت به المسيحية . . يمكن أن يقال هو الذي أسس المسيحية التي ابتكرها ابتكاراً يخالف مسيحية عيسى اليهودية - ومسيحية الحواريين اليهودية .

يمكن أن يقال أنه مؤسس نظام جديد نسبه إلى المسيح وسماه

(١) تاريخ الأقباط ج ١ ص ٢٨ .

المسيحية لأنه أدخل في الدين الذي جاء به عيسى ما لم يقبله عيسى الذي كان يدعو إلى حلول مملكة الرب - والذي لم يقبله الحواريون كذلك الذين كان يدعو إلى عودة السيد المسيح .

ومن هنا وجب إلقاء ضوء واضح على حياته الاجتماعية والفكرية والدينية ليتضح بالمنهج العلمي أن شاول ضم مسيحية ثالثة تغاير الذي جاء به عيسى والذي ابتدعه من بعده الحواريون .

## شاول النشأة والثقافة

### (١) البيئة المحلية :

ولد شاول بولس في طرطوس من أسرة يهودية وكان لهذه الأسرة مورد متزن من الرزق وذلك بحكم موقع طرطوس فهي تقع في نهاية حدود إقليم سيليفيا - فهي مفتاح الدخول إليه وبخاصة فيما يتعلق بالاتصال بين هضبة آسيا الصغرى وبين بلاد الشام، وكذلك تفرق الطريق التجاري من اليونان وإيطاليا وقبرص والشام ومصر . ومع السبول التجارية التي كانت ترد على هذه المدينة كانت هناك سيول فكرية أخرى ، ولقد حاول أنطاكيوس عام ١٧١ ق . م أن يصبغ طرطوس بالصبغة الإغريقية لكنها مع هذه المحاولة بقيت شرقية في المعتقدات السائدة .

ومع هذا فقد انتشر وأزهر فيها مدارس يونانية وقام بها مستوى  
علمي يساوى الجامعة في عصرنا الحاضر يمكن أن يوصف بأنه ركيزة  
علمية للدراسات الفلسفية .

وكانت الفلسفة السائدة في هذه المدارس الفلسفة الرواقية تلك التي  
تعتقد في الألوهية المتعددة والجن والأرواح بأشكالها المختلفة —  
والآلهة في الفكر الرواقى تساوى غالباً : القوى والظواهر الطبيعية ،  
وقد أدمجوا التدين الشيعى في مذهبهم بأسلوب الرموز التي اتبعها  
تلاميذ هيراقليطى ، وتدين الرواقية بأن كل فرد من هذه الكائنات  
مصيره إلى الغناء ، ويتبع ذلك حتماً أن العالم في مجموعه لن يشذ عن هذا  
القانون العام المحتوم الذى سيلقاه كل كائن حى .

وقد نقى الرواقيون الفلسفة الطبيعية من الجدل المعقد الذى ولع  
به القدماء المشتغلون بالعلوم الشعرية . فالوجود وحده هو الوجود ،  
والعدم لا يعد شيئاً ويرون أن الغاية من العلم الأخلاق سواء كان العلم  
جدلياً أو طبيعياً ، والأخلاق بدورها تؤدى إلى سعادة ، وتعتبر  
فلسفة الأخلاق هذا البحث الأعظم من جميع مباحث المذهب  
الرواقى .

وهى ترى أن الإنسان لىكى يكون سعيداً لا بد من أن يكون على

وفاق مع طبيعته الخاصة التي أعدها الروح إعداداً خاصاً .. فلنكل من الفضيلة والسعادة شرط أساس هو: الاستقلال والتحرر والسيادة الذاتية (١) .

هذا المذهب الرواقى الذى ساد فى مدرسة طرطوس الثقافية لم يكتف أسانذته يدرسونه فقط .. بل عملوا على جعله حملة تبشيرية ذات طابع شعبى يشق مع طرق تفكير الجماهير .

ومن هنا ندرك أن شاوول بولس كان له دراية بأصول هذا المذهب الرواقى .. لا لأنه كان طالباً فى الجامعة .. بل لأنه عاش وسط مجتمع تشبع بالتراث اليونانى الرواقى .. ذلك الذى نشره أسانذته بالأسلوب الفلسفى والخطاب معاً ..

وخلاصة القول فى نشأته وثقافته : أنه ولد بأرض يونانية .. وتحديث بلغة يونانية .. وكتب بها منذ نشأته .. وكان يلتقى إلى أسرة يهودية ذات شأن .

فهو بكل هذه الخصائص كان معداً إعداداً يجعله يتطلع لإدراك طموح يهود المهجر الذين آمنوا بعبسى وقد عرفنا أن اليهود فى المهجر لهم خاصتان :

(١) الفلسفة اليونانية تأليف البيريفو ترجمة الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود وفضله الشيخ أبو بكر زكرى س ٢٠٩ - ٢١٣ .

الأولى : تعصبهم الشديد لبني جلدتهم ودينهم .

الثانية : محاولة التكيف مع البيئة التي يعيشون فيها .. فهم لذا أكثر يرون من يهود فلسطين .

### (ب) البيئة المجاورة :

عجت المنطقة من حوالى طرطوس والتي تلتقى فيها لإنجاز بها التجارى والفكرى .. عجت بعدد من الأفكار الألوهية .. وكان بين هذه الآلهة أوجه شبه فيما يتعلق بالتعدد ومعنى الأسرة والعائلة ، وموت الآلهة فى بعض المواسم ثم حياتهم بعد ذلك فى موسم آخر ، وأن الآلهة فيها مفهوم البشرية من حيث العلاقات الزوجية أمثال الآلهة آتس الراعى آه أدونيس الذى يروى أنه ثمرة علاقات غير مشروعة بين أخ وأخت (١) .

وقد أنير جدل واسع حول هذه الآلهة المختلفة وحول الرموز والأساطير التي يمثلونها - وكان مشيراً إله فارس آها شمسياً يحتفلون بمولده فى الخامس والعشرين من شهر ديسمبر . يعنى فى مولد الانقلاب الشتوى .

---

(١) كان إلهها يعبد فى الشام - وآفا آتس فتعبد الفرنجة .

ويبدو أن أوزوريس إله مصر كان قريبا<sup>(١)</sup> - ولعله لم يكن كذلك في البدء .

وإنما تموز فهو من آلهة الزراعة في ربوع ما بين النهرين ومن رمزته أنه يقضى عليه في قيظ الصيف كما يحيا أو يبعث مع أول نسبات الربيع - وهكذا بالنسبة إلى أغلب الآلهة الذين يموتون ثم يبعثون .

وكانت الطقوس والشعائر التي تنظم للإحتفال بهؤلاء الآلهة تجعل تجدد الاتحاد مترتبا على تناول المؤمنين الطعام - المآدب الخاصة بالآلهة - وهي صورة الاتحاد بين الآلهة والمؤمنين .

وهذا السلوك تأثرت به الحياة المسيحية بعد أن أدخلها بولس الذي عاش هذه الحياة في طرطوس ثم دراسته بالقدس حسبما تروى فقرات أصحاب « أعمال الرسل » .

ولهذا يقول السيد شارل جني بير :

« وفصل الخطاب على أي حال أننا نستطيع تأكيد حقيقة لا يمكن الجدول فيها تلك هي : أن طرطوس لم تصبح بمحض المصادفة مهداً للحواري المرسل إلى المشركين أي الرجل الذي ساهم بأكبر قسط في نشر دين جديد للنجاة باسم السيد المسيح عيسى . »

(١) راجع كتابنا آلهة في الأسواق - المقالة الرابعة - خرفة الكهانة المصرية .

وإنما كانت نتيجة لعوامل متعددة :

ومن ناحية أخرى فإننا إن نظرنا إلى مملكات بولس العامة في التبشير - حسب أساليبه اليونانية والرومانية - بعقيدة يهودية الأصل نجد أنه كان في وضع يلائم تحقيق عملة كل الملاممة ..

فقد جمع بين مميزات ثلاثة :

كان يونانيا .

وكان يهوديا .

ثم كان أيضاً رومانيا .

ومعنى هذا :

أنه كيوناني أشرب شيئاً من الروح الإغريقيه في طرطوس وأنه لقن اللغة اليونانية ففتح بذلك أقوى أداة للفكر والعمل . نعم هو ليس من الأذباء ولم يتخرج على أيدي أساتذة المدارس العليا، ونعم أنه لم يقم بدراسة مستفيضة عن الأسرار .

لكنه عاش في وسط يتحدث باليونانية ويستخدم كلمات

مثل :

الله - العقل - المنقذ - المنطق - الروح - الضمير ..

فلم تكن هذه الكلمات غريبة عاينه ، ولقد بقيت المصطلحات الفلسفية التي كانت تستخدم في هذا الوسط في ذهن داعية المسيحية (بولس) .

وكان هذا الوسط صاحب آمال في الحياة الآخرة، ولم يكن بولس يجهل هذه الآمال :

ومعنى أنه يهودى :

أنه تدرج في الثقافة اليهودية لهذا العصر حتى بلغ منتهاها ، وهي ثقافة يجعل همها الأكبر التبحر في دراسة النصوص المقدسة، وقد جاء في أعمال الرسل ٣/٢٢ أن بولس تربى على أعلى أعتاب (جما ليال) وهي القدس .

ويشهد لهذا أنه في أعمال الرسل يستخدم أسلوبا يدل على معرفته .



بالنصوص المقدسة التي كانت تستخدم لليهود وأنها من نفس أساليب  
الفريسيين المثقفين من حيث عشق الجدل وحبك المواردات والقدرة  
على التأويل ومهاجمة الشريعة اليهودية .

لقد جمع بولس من اليهودية واليونانية ثم أضاف إليهما ميزة  
ثالثة غالية هي :

تمتعه بالجنسية الرومانية أو حصوله على لقب المواطن الروماني .  
وهي ميزة ذات نفع كبير لأنها تحميه من الإنزلاق إلى تعصب يهود  
فلسطين القومي المعروف بكراهيته للأجنبي ، ثم كانت السبب  
اللاشعوري والاراذي في جعل بولس ممشى المستقبل ، ممشى  
المسيحية الثالثة التي فصلها عن عقيدة اليهود (١) .

---

(١) راجع شارل جنى بير - المسيحية ص ٨٣/٨٥ .

## تأسيس المسيحية المستقلة

### أعمال بولس

من العسير علمياً عند شارل جنى بير تحديد الصلة بين شاول - بولس وبين عيسى ، ويقطع المؤرخ الألماني « هايمولير » بأن شاول - بولس لم يلتق قط بعيسى ولم يتعلم عن الحوارين شيئاً ولكنه أخذ عن الهلنيسية وهي المرحلة الثالثة بعد عيسى يعني : عيسى ثم الحوارين ثم الهلنيسين ثم بولس . وعن هؤلاء الهلنيسيين أخذ بولس تعاليمه المسيحية ، هؤلاء الهلنيسيين هم الطائفة اليهودية المرنة التي لم تنعصب للشريعة اليهودية واكتسبت هذه الصفة من حياتها في المهجر فلها عادت لم تعجب المتعصبين اليهود في فلسطين فطردوهم فأقاموا كنيسة مستقلة عن عقيدة اليهود في أنطاكية .

وفي هذه الكنيسة أخذ بولس يتعلم ، وتؤكد أعمال الرسل أن هؤلاء الهلنيسيين هم الذين أخذوا يبشرون بالسيد المسيح في العالم الخارجي . ولا يشك شارل جنى بير أن تلك البيئة هي التي ساعدت على التطور السريع نحو تأليه المسيح .

ولقد كان من المحير للحواريين أنهم لم يجدوا كلمة واحدة تشير إلى إمكان قيام مسيح يعذب بأسلوب مهين شائن . . بل على العكس لقد

قرأوا عكس ذلك .

فقد جاء في كتاب الاشتراع ٢١-٢٣ لعن الله كل إنسان يشنق  
بالغابة .

\* وعلى هذا الأساس فموت عيسى عند الحوارين لا يمت بصلة  
لمعنى التضحية أو الفداء أو تكفير الخطايا - ولكن بولس فسره  
بذلك .

والحواريون لم يصفوا عيسى بأنه ابن الله ولكنهم سمّوه  
خادم الله .

وجاء بولس وسماه ابن الله .

\* كان الذى يسجد له كل من فى السموات والأرض هو يهوه  
فجعله بولس عيسى ، كأنما إله يهوه قد تنازل لعيسى .

وأصل الكلمة التى تدل على السجود ( خير يومى ) يونانية  
يستخدمها العبيد فى اليونان لبيان ولائهم للأسياذ فنقلها بولس للتعبير  
بين عبيد عيسى وعيسى على نحو ما جاء فيها الرسالة الأولى إلى أهل  
كورينثيا ٧ / ٢٢ يدل على اختراعه أنها كلمة غريبة عن الآلهة  
التقليديين فى اليونان أو فى الرومان وإن كانت تستخدم فى إله آسيا  
الصغرى والشام ومصر .

هل هو حوارى :

واستغل بولس طقوس الأسرار في التدين الذي يؤمن بالأسرار وقال إن نجاة المؤمن خاضعة لتوحيده مع المسيح المنقذ وصور هذه الوحدة في التعميد الذي يرمز إلى الموت والبعث وصوره في القربان وهو مادية الوحدة على مائدة السيد المسيح .

وعلى أى حال فإن إبتداع بولس لنظام مسيحي مستقل عن تعاليم المسيح يكفي فيه نصه الحرفي و لقد علمتكم ما علمت أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب ما قدر له في النصوص المقدسة ، (١)

فمن أين تعلم ؟ إنه لم يلتق بالمسيح ، ولم يتعلم عن الحواريين إنه تعلم في أنطاكية في الكنيسة الهلنيسية التي أعلنت انفصالها عن الأصل اليهودي الذي من أجله جاء يسوع .

وهذا هو عين ما يقوله شارل جنير ويجعله تفسيراً طبيعياً لالتحاق بولس بالمسيحية بل يجعله أفضل من أسلوب المفاجأة يقول :

إن إقتنعنا بترجيح الرأي الذي يقول . بأن بولس قد تلقى أسس عقيدته — وهى العقيدة التى تعارفنا على تسميتها بالبولونية — عن

(١) الرسالة الاولى لك أهل كورنثيا ٣/١٥

مجتمع أنطاكيا : إن اقتنعنا بترجيح هذا الرأي فإن تحول صاحبنا وهو اليماني الغربي الأصيل إلى المسيحية هذا التحول سوف يبدو لنا حينئذ أقرب إلى المنطق مما لو فسرناه بتلك المزاعم الهزيلة التي دعا إليها يهود القدس المسيحيين والتي كرهها هو بادي ذي بدء وهاجها ثم جعلناه يمتنعها فجأة ودين تمهيد (١)

### دعوى أنه حوارى :

وتؤكد الوقائع أن بولس لم يلتق بعميسي بل تؤكد الوقائع أنه كان يجر ما في حق القساوسة حسب ما جاء في أعمال الرسل : ولما جاء شاول ( بولس ) إلى أورشليم حاول أن يلتصق بالتلاميذ وكان الجميع يخافونه غير مصدقين أنه تلميذ ، فأخذه برنابا وأحضره إلى الرسل ٩٤ : ٢٦ / ٢٧

ولكن شاول بولس يدعى أنه قد نصب حواريا بإرادة يسوع وأن شاول بعد هذا التشریف ليس في حاجة إلى إرشاد من أحد ورسالة إلى أهل تصرح بهذا دهل أنا أبشر الإنسان أم الله ؟ أم هل أريد أن يعجب لي الإنسان ؟ لو أنى ظلمات إلى الآن موضوع إعجاب

---

(١) شارل المسيحية ص ٩٥ / ٩٦

الإنسان لما كنت خادما للمسيح أؤكد لكم إذن يا إخوتي أن  
الأنجيل الذي أبشر به ليس من الإنسان فإني لم أتلقاه ولم أعلمه من  
الإنسان بل ألهمه إياي عيسى المصلوب ١٠/١ .

وتلك من إضافات بولس إلى المسيحية التي يؤسسها بفكره  
وجهوده بعيدا عن تعاليم الحواريين وبعيدا بالطبع عن تعاليم عيسى .

ومن هنا نشأت الخلافات بينه وبين الحواريين إلى درجة أن  
أعمال الرسل تحتفظ بصورة من هذا الخلاف .

وأن العروض التي قدمها بولس لأرائه في معابد القدس . معابد  
اليهود التي كان يرتادها الهيلينسيون أثار ضجة كبرى اضطرب بولس  
بسببها إلى الإسراع بمغادرة المدينة .

يقول النص :

فكان معهم يدخل ويخرج في أورشليم ويجاهر باسم الرب يسوع  
وكان يخاطب ويباحث اليونانيين فحاولوا أن يقتلوه فلما علم الأخوة  
أخذوه إلى قيصرية وأرسلوه إلى طرطوس ٩ : ٢٨ / ٣٠ .

بل إن أهل طرطوس لم يتقبلوا إنجيل بولس الذي بشر به يقول مسيو شارل جنى بير : كان يرتحل من بلدة إلى أخرى ولا يقيم بضعة أيام في أى منها إلا حينما يجد جاليات يهودية هامة : وكان يبدأ بالحديث في المعابد فيشير فيها عادة لدى اليهود المخلصين غضبا عنيفا على ما يسميه بإنجيله : وعندما يستطيع أن يهدىء من روعهم ويطمئن إليهم لفترة ما نراه يحاول إقناع من يأتي إليه . فإذا نجح في دعوته إلى درجة ترضيه أقام بالمكان بضعة أشهر كما فعل بالنسبة إلى كورنثيا وأفسوس .

### تطبيق جديد :

ولقد دعاه هذا إلى أن يترك مجتمع اليهود ويدعو المشتركين غير اليهود وبقى أمامه مشكلة هي : هل يقبل المبشرون هؤلاء الجدد من غير طائفة اليهود دخول مملكة الله وأن يكون لهم فيها نصيب وهل يصبح هؤلاء الأجانب الذين يجولون شريعة موسى أصحاب حق في ميراث أمة (يهوه) .

لقد رفض الحواريون وهم الذين بقوا على يهوديتهم وهم الذين أشربوا تعاليم عيسى مباشرة منه ... لقد رفضوا هذه الأفكار البوليسية لكن بولس فرضها عليهم فرضا . ودفعه هذا إلى تيسير وتطبيق مبادئ الدين الجديد .

لاختان : وكان الختان وهو شريعة عيسى وموسى لأنه شريعة اليهود في رأى بولس لا يتمشى مع مشاعر اليونانيين ، وأن جانبا كبيرا من تعاليم الشرع اليهودى لا يتفق مع متطلبات الحياة اليونانية وعادتها وتقاليدها — فشرع بولس لأهل اليونان مسيحية جديدة لاختان فيها وأعفام من كثير من الأحكام التى جاء بها موسى .

### فصل المسيحية :

● وإذا وصل الأمر إلى هذا الحد فقد انفصلت المسيحية التى ينادى بها بولس عن المسيحية التى بشر بها الحراريون وانفصلت عن الدين الأم الذى جاء به موسى .

### الخلاص :

وصار الأمر طبيعيا لأفكار بولس فرأى أن دعوة حلول ملكة الله وفكرة البعث أشياء لانهم الفكر الأخرى كثير ابل إنها أمور خاصة بالأمل القومى لليهود فقط — وعليه فلا بد من تغيير هذه المفاهيم ونقلها من دائرة خاصة بالشعب المختار إلى دائرة الأجتاس كلها فصنع بولس تصورا جديدا هو : أن الله بعث يسوع ليحمل إلى الناس جميعا الخلاص .

( م ٦ — المسيحية الرابعة )



## ابن الله مجازا :

لم يكن الصلب في الفكر الأغريقي إلا فضيحة فليس هناك مبرر عند اليونان لتقبل الصلب إلا أنه فضيحة - وأعمل بولس - الحوارى - ذكاهم لحل هذه المشكلة .

فتجاهل فكرة عيسى الناصرى تلك التى أعجب بها الحواريون الأثنا عشر واتجه نحو عيسى المصلوب فصوره على أنه شخصية إلهية تسبق العالم فى الوجود - وتمثل فرعان التشخيص لروح الله فتصوره رجلا سماويا احتفظ به الله إلى جانبه أمدًا طويلا حتى نزل إلى الأرض لينشئ فيها حقًا بشرية جديدة يكون هو (آدمها) .

ثم ادعى بولس أن العلاقة بين هذا الرجل وبين الله هى علاقة البنوة وأن الله أرسله لتنفيذ خطة الله الكبرى المتعلقة ببعث الإنسانية وخلصها - وأذن فصلب يسوع كان تكفيراً عن آثام البشرية لأن بنى الإنسان لم يستطيعوا حمل ثقل خطاياهم فحمل يسوع عنهم آثامهم بعذابه وموته وبالتالي يجب على البشر أن يتوحدوا فيه حتى يشاركوا فى فضله ويجدوا الرحمة يوم القيامة .

وهكذا صير بولس الفضيحة الكبرى للصلب سرا أعظم . ولهذا فإنك لا تجد كلمة ابن الله ترد إلا مرة واحدة فى أعمال الرسل

في الأصحاح التاسع الفقرة العشرون : وجاءت على لسان بولس نفسه بقول النص :

وللوقت جعل يكرز في المجامع بالمسيح أن هذا هو ابن الله .  
والفقرة التالية بعد هذا النص تصور عدم تصديق الناس لبولس وتؤكد أنه الذي كان يعمل جاسوسا لحساب أعداء يسوع والحواريون

يقول النص

فبنت جميع الذين يسمعون وقالوا : أليس هذا هو الذي أهلك في أورشليم الذين يدعون بهذا الاسم .

وقد جاء إلى هنا ليسوقهم موثوقين إلى رؤساء الكهنة

٩ : ٢١/٢٢ أعمال الرسل

وبالطبع فإن بولس لم يجد عناء في فلسفته هذه لأنه عثر على هذه التركيبات في الفلسفة الهيلينية وأسرار الوثنية الأخرى (١)

فهل كان بولس يدري ماذا استفعله فلسفته بإدعاء أن عيسى ابن الله؟

هل كان يدري ماذا استفجره هذه اللفظة من مشكلات في الدين

الذي صنعه ؟؟

(١) راجع شارل جني بير ص ١٠٤/١٠٥

وهل أراد بولس بهذا التعبير أن يقول إن الله ثالث .

يقول شارل جنى بير :

لكن بولس لم يكن ليدرك في ذلك الوقت كل ما ترتب على مفهوم ابن الله بعد ذلك من مشا كل في فلسفة الدين لا تحصى

وهذا أمر يجب أن لا نناساه أيضا ، ويترتب عليه احتمال أنه لا يستخدم التعبير إلا بمعنى تقريبي -- مجازي -- يحاول به أن يفصح قدر المستطاع عن علاقة فوق البشرية -- لكتبه لا يجد لها الاصطلاح الجامع المانع الذي لا يرضيه .

أما ما يجب تجنبه في هذا المجال فهو القول بأن هناك خلطا بين السيد -- وبين [ الله ] فمثل ذلك الخلط لا يمكن تصوره لدى بولس الذي لم يكن يخاطر على باله ففكرة الثالث

ودليل ذلك من نصوصه : المسيح الله (١) .

هو طوع أمر الله حتى الموت (٢)

خاضع له تمام الخضوع (٣) .

---

(١) الرسالة الأولى لأهل كورنثيا ٢٢/٣

(٢) فيلي ٨/٢

(٣) كورنثيا أولى ٢٨/١٥

والرسالة الأولى لأهل كورنثيا فيها تفصيل يفند الثالث :  
يقول :

« بالنسبة إلينا نحن على الأقل ليس هناك سوى إله واحد هو الأب  
منه كل شيء ونحن فيه . وليس هناك سوى سيد واحد هو عيسى  
المصلوب به كل شيء ونحن به » .

يقول شارل جني بير :

وهكذا فهما بلغ أمر « السيد » من خطورة ووجوب النسبة إلى  
عمل الله فإنه لا يتساوى معه قط واسكنه يمثل روحه .

والرسالة الثانية لأهل كورنثيا تخبرنا بأن السيد هو الروح ،  
ولا يستطيع بولس أن يأتي بما يقرب أكثر من هذا بين اللفظين  
البالغين في السمو أقصى درجاتهما : السيد ، الله .

وتلك هي بالذات العلاقة الوثيقة التي عبر عنها بلغة البشر فقال :  
إن السيد : هو ابن الله دون أن يفترض هذا التعبير إيماناً منه  
بتظلية البنوة في معناها الحرفي .

الطقوس :

• كان الإثنا عشر وهم اليهود الأتقياء يواظبون على إرتياد المعبد اليهودى ولا يخطر ببالهم أنه فى حاجة إلى طقوس سوى أنهم كانوا يعلقون أهمية خاصة على « التطهر بالتعميد » .

ثم صار هذا التعميد علامة على اعتناق المسيحية لدى الكنائس المقامة فى ديار الوثنية .

وكان الإثنا عشر عندما يلتقون فى دار أحدهم يطعمون جماعة . .  
واعل عيسى كان يفعل هذا معهم . فجعله الحواريون رمزاً لوحدتهم .  
ينى : وحدة بين الحواريين وبين عيسى عندما كان موجوداً بينهم ولم يكنوا ليربطوا بين كسرة الخبز وموت المسيح وحتى هذا الحد لم يكن الأكل علامة من علامات الشعائر المقدسة لدى الحواريين إنه فقط مجرد رمز للوحدة .

ولكن بولس صانع المسيحية البولونية شعر بضرورة وضع مغزى لتقليد تناول الخبز جماعة فربطه برباط لا ينفصل إلى عذاب يسوع الذى تحمله لتخليص البشرية من ذنوبها ، وغمره بذلك الخيال النخب : التضحية من أجل التفكير ومن أجل التقرب . ومن أجل المشاركة فى الذات الإلهية :

فجعل تناول الطعام الذي لا يشكل شعيرة مقدسة رمزاً سحرياً ، وجعله سرّاً رقيقاً وتذكرة ورمزاً حياً كأنما أرادهما عيسى نفسه فيما زعم مؤسس المسيحية الثالثة « بولس » ، لقد قال في رسالته الأولى إلى أهل كورنثيا : في الليلة التي سلم فيها أخذ السيد عيسى خبزاً وبعد أن شكر الله كسر هذا الخبز وقال : هذا جسدى وهو لكم فلتفعلوا ذلك دائماً تذكرة لى ، ٢٣/١١ .

وكذلك الكأس أيضاً بعد ماتعشوا قائلاً : هذه الكأس هي العهد الجديد بدى ، لصنعوا هذا كلنا شربته للذكرى ٢٤/١١

ذلك أنكم كلبأ أ كتم من هذا الخبز وشربتم من الكأس ، كأنما تعلنون موت السيد حتى يأتى إليكم ٢٦/١١

ففاق بولس بهذه الأسرار ، الأسرار الوثنية ، لأنها أسرار تابعة من الطقوس الهلينية الوثنية ولا علاقة لها بالطقوس اليهودية . .  
وعن التعميد يقول بولس :

أما أتم الذين عمدتم فى المسيح فقد ارتديتم المسيح  
رسالة أهل جلاطة ٢٧/٣

وهو يعنى بهذا النص : أنهم اتحدوا مع المسيح بواسطة التعميد ،  
ومن قبل كان التعميد للتطهر فقط .

وهو سر مأخوذ من الوثنية التي تعبد الإله [ إيس ] ... فمن غطس ثلاث مرات يساوى خروج المسيح من القبر بعد ثلاثة أيام .  
إذن بواس هو صانع هذه المستحدثات :

- ابن الله ( مجازا )
- إلغاء النختان
- فصل المسيحية كدين مستقل وإلغاء شريعة موسى .
- قبول غير اليهود في الدين وتخفيف تطبيق التعاليم بالنسبة لهم .
- التعميد
- العشاء الرباني
- الخلاص والتضحية ومحو الخطايا .
- إدعاء أنه حوارى بالإلهام .

وتلك هي المسيحية البولونية التي قامت على الفكرة الغنوصية والأفكار الهيكلية على نحو ما قاله مسيو جنى بير  
دوعلينا أن نؤكد وأن نكرر التأكيد بأن بواس لم يكن هو  
المخترع للفرد لسكل هذا ولا الكنائس الهيكلية السابقة عليه

ولا الجماعات اليهودية النازعة إلى الغنوصية<sup>(١)</sup> هم الذين مهدوا العمل بولس وأنشأوا الموضوعات الأساسية التي دار حولها تفكيره . ولهذا فن المبالغ فيه القول بأنه المؤسس الحقيقي للمسيحية . أما المؤسسون الحقيقيون للمسيحية فهم هؤلاء الرجال الذين أقاموا كنيسة أنطاكية<sup>(٢)</sup> .

وهو قول مرفوض من شارل جني بير لأنه في طول عرض المسيحية البولونية كان يستدل بنصوص من رسائل بولس فلم يوجد في الجواب التبشيري سواه بل إنه ليستند إليه وحده قهر الحوارين على اتباع كل آرائه التي لم يأت بها يسوع .

(١) الغنوصية : أساطير بدائية غلفت بفكر ميتافيزيقي : تقول : إن المادة والروح في تمارض تام ، وترى أن الجسد مقبره الروح وافترضت أن الكون المادي شر ، وأن خلق الأرواح الشريرة أو السفلية تأجج بالمرافق الشريرة ، وهي دائما في ثورة ضد الذات الأعلى الذي تقر له بالوحدانية . وعلى ذلك فالولادة شر لأنها تعني دخول كائن روحي إلى مستوى مادي منقطع . كذلك الزواج شر لأنه يقود إلى التناسل وإلى عبودية خلال دورة الوجود ، ولذا يجب المحافظة على نقاء الروح بتجنب الجسد الزواج وعدم تعرض الجسم للنس الهيا .

وقد تأثرت المسيحية بهذا في كثير من نصوصها وبخاصة في رسالة تيموثاوس ، ورومية ، إذ يوصف عيسى بأنه لم يكن ذا جسد مادي ، راجع شارل جني بير ص ١٥٨ ، المسيح في مصادر المسيحية ص ٢٦ .

(٢) المسيحية شارل جني بير ص ١١٠/١١١



وإن شارل جنى بير نفسه ليجهل تماماً رجال كنيسة أنطاكيا  
فيقول :

وإننا لا نكاد نلمح أسماءهم وقد طواها اللسيان إلا أن بولس  
كان يمتاز عنهم بنشاط أوسع بعداً وأوفر دقة فضلاً عن تفوقه  
في إدراك معنى هذا النشاط ومداه (١).

وإذن فمن سوى هذه الشخصية يبني المسيحية الثالثة يامسيو جنى بير؟  
إنه يرجع ويقول :

بدرن بولس كان من المحتمل أن لا توجد المسيحية (٢) وإلى  
هذا الحد فلم يكن في التصور المسيحي الذي أسسه بولس مشكلة الأب  
والابن وروح القدس ولا الثالث ولا الأقانيم ، وإنما هي مرحلة  
ثالثة في تطور الكنيسة المسيحية .

كالم يكن في هذه المرحلة مذاهب ولا عقائد ولا فرق ، وإنما  
وجدت في تطور الكنيسة الرابعة التي سنعالجها عنها فيما سيأتي إن  
شاء الله .

---

(١) المسيحية شارل جنى بير ص ١١١ .

(٢) المرجع السابق .

1. *[Faint, illegible text]*

2. *[Faint, illegible text]*

3. *[Faint, illegible text]*

4. *[Faint, illegible text]*

5. *[Faint, illegible text]*

## قبيل المسيحية الرابعة

- مشاكسات الكنيسة
- واستمرار الاضطهاد
- وكيف خرجت المسيحية منه

## قبيل المسيحية الرابعة

- مشا كسات الكنيسة
- واستمرار الإضطهاد

### (١) المشاكسات :

لم يأت المسيح ليبدل شريعة موسى هكذا نطق وهكذا دونوا عنه مقالته : « لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ، ما جئت لأنقض بل لأكمل ،

بل إنه ليحذر من أولئك الذين سيأتون من بعده ويتحدثون باسمه ليضلوا .

● احترسوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان ولسكنهم من داخل ذئاب خاطفة . (متى ٧/١٥)

● ويل للعالم من العثرات فلا بد وأن تأتي العثرات ، ولكن ويل لذلك الذي به تأتي به العثرة . (متى ١٨/٧)

● فإن كثيراً سيأتون باسمي قائلين أنا هو المسيح ويضلون كثيرين . (متى ٢٤/٥)

ولكن بولس كان سباقا إلى تغيير كل ما جاء به المسيح ، ووضع  
طموساً وأكد قيام كنيسة أنطاكية المنفصلة عن اليهودية .

ولم يقبل اليهود المسيحيين برضاء تام كل هذه التبديلات  
والإضافات التي فرضتها بولس على الأثني عشر حواريا .. لكن تم  
الإفصال الفعلي بين الكنيسة وبين المعبد وأصبح هناك مسيحيتان  
ويهودية خالصة :

- مسيحية يهودية لأولئك الأنقياء من اليهود الذين آمنوا بعيسى .
- ومسيحيون أنطاكيون وأتباع وثنيون راخوا يتحدثون  
عن اليهود ودينهم بعبارات لاشك أنها غريبة كل الغرابة عن  
تعاليم يسوع ثم تطوروا فرفضوا الاعتراف لليهود بحقهم في فهم  
شريعة موسى .

وطبعت الكنائس الوثنية الأصل على البقية المنبثية من الكنائس  
اليهودية التي أسسها الحواريون وأتباعهم اليهود والتي لم تظم في  
غالبيتها سوى أناس يؤمنون بعبادات اليهود .

- واليهودية التي لم تؤمن بعيسى منذ حياته .

ولم يهدأ الحوار المتصارع العنيف بين طوائف اليهود المتسمحين  
الذين آمنوا بعيسى كمبشر بمساكنة الله أو بعودته حسب تعاليم الأستاذ

والحواريين ، وبين المسيحية البولونية التي أسسها بواس .  
وكانت الديانة الرومانية وثنية يشيع فيها السحر كضرب من الكهانة  
ويستعمل في عامة الشعب عادات وتقاليد نتيجة هذا الاعتماد البدائي .

أما المثقفون فقد كانوا مولعين بالأدب والبلاغة لترتيب الأفكار  
وتزين الكلمات كما كانوا مولعين بالفلسفة لكشف مسانير الأسرار  
وتفسير لغز الحياة ، وانجذبت التأويلات الدينية سواء عند اليهود  
أو عند المسيحيين المنفصلين إلى هذه التيارات ، ومن هنا كان العراك  
بين اليهود المسيحيين وبين المسيحيين المنفصلين . . وهذا ما تصوره  
المصادر المسيحية في اضطرابها وصراعاتها . . وإلى هذا الاتجاه يميل  
مسيو موريس بوكاي يقول :

أما فيما يتعلق بعشرات السموات التي تلت رسالة المسيح فيجب  
على القارئ معرفة :

إن الأحداث لم تقع مطلقا كما قيلت ، وأن وصول بطرس إلى  
روما لم يؤسس مطلقا الكنيسة ، بل على العكس فبين اللحظة التي  
خادر فيها المسيح هذه الأرض وفي منتصف القرن الثاني أي طيلة  
أكثر من قرن كانت هناك معركة بين اتجاهين : أي بين ما يمكن  
تسميته بالمسيحية البوليسية وبين اليهودية / المسيحية ، ولم يحل

الاتجاه الأول محل الثاني . ولم تلتصر البولييسية على اليهودية المسيحية إلا بشكل شديد التدرج<sup>(١)</sup> .

ذلك لأن اليهود المسيحيين ظلوا مخلصين لتعاليم أستاذهم واعتبروا بواس خائناً ، وتممه الوثائق بأنه يتواطأ تكنيكيا لتخريب الديانة .

ولقد ظل اليهود المسيحيون أصحاب نفوذ حتى عام ٧٠ م قبيل سقوط القدس على يد تيطس عندما زحف على فلسطين بجيش عرمرم ليحارب اليهود فخرق الهيكل ودمر أورشليم عام ٧٠ م<sup>(٢)</sup> .

وبعد ما صار الأمر لكنيسة المسيحية المستقلة ، بل إن المسيحيين المنفصلين قد تبرؤوا تماماً من الصلة بالديانة اليهودية .

في هذه الفترة من المحن كتبت الأناجيل والرسائل كل ينصر مذهبه وفكرته التي هي ليست من تعاليم الأستاذ من قريب أو بعيد .

يقول الكاردينال وانيلو :

• • نستطيع في هذا المقام أن نقيم إفتراضات كثيرة ، ولكن فيما يخص الأناجيل فليست هناك مجازفة كبيرة في أنه لولا جو الصراع

(١) دراسة السكتب المقدسة بوكاي من ٧١/٧ .

(٢) خلاصة تاريخ كنيسة أورشليم من ٦

بين الطوائف التي ولدت بسبب انشقاق بولس لما حصلنا على  
كتابات التي في حوزتنا اليوم ، إن هذه المكتابات الخصامية كما  
منها الأب كامينجر : فقد ظهرت في فترة صراع جاد بين الطائفتين ،  
انبعثت من حشد كتابات عن المسيح .

والمطالع لفقرات الأناجيل المعتمدة يجد أشكالاً هذا الصراع  
كادية في سبب تدوينها . فأول فقرة في الإصحاح الأول لانجيل لوقا  
فوضيح سبت كتابته هذا الإنجيل . .

إنه يقول :

إذا كان كثيرون قد أخذوا تأييف قصة في الأمور المتيقنة عندنا  
كما سلمها لإينا الذين كانوا منذ البدء معانين وخداماً للكلمة . .  
رأيت أيضاً إذ قد تبعت كل شيء من الأول بتدقيق أن أكتب على  
التوالي إليك أيها العزيز ثاوفليس لتعرف صحة الكلام الذي علمنا به .

١ - ١ لوقا

والنص يصور عدة أمور :

الأول : إن كثيرون قبله قد ألفوا قصصاً في الأمور .

الثاني : أنه لم يعاين بل يكتب نقلاً عن عاينوا وكانوا خداماً .



الثالث : أنه تتبع كل شيء من الأول . ولكن كتابه جاء مختلفا  
عن كل ما سبقه .

الرابع : أنه كتب لواحد معين يسمى : ثاوفيلس .

وبولس في رسالته إلى أهل غلاطية يجسم هذا الخلاف الحاد بقوله :  
« إن بشرنا كم نحن أو ملاك أهل السماء بغير ما بشرناكم فليكن  
أنا يتيما أي محروما من الجنة كما سبقنا فقلنا أقول الآن أيضا : إن أحد  
يبشركم بغير ما قبلتم فليكن أنا يتيما ، غلاطية ١/٨ أول

ويقول أيضا :

ولكن بسبب الإخوة الكذبة المدخليه خفية الذين دخلوا  
اختلاسا ليتجسسوا حريتنا التي لنا في المسيح كما يستعبدونا .  
٤ - ثاني غلاطية

وكان مرقس يشكر ألوهية المسيح هو وأستاذه بطرس الحواري  
فهاجمهم بولس في رسالته إلى غلاطية في أول فقرات الإصحاح الأول :  
إني أتعجب أنكم تنقلون هكذا سريعا عن الذي دعاكم بنعمة  
المسيح إلى إنجيل آخر ليس هو آخر ، غير أنه يوحد قوم  
يزعمونكم ويريدون أن يحولوا إنجيل المسيح .

٧/٦ غلاطية أول

وفي الأصحاح ١٥ من أعمال الرسل مشاجرة بين بولس وبرنابا

فقد جاء فيها :

و ثم بعد أيام قال بولس لبرنابا لترجع وفتقد إخواننا في كل مدينة نادينا فيها بكلمة الرب كيف هم ، فأشار برنابا أن يأخذا معهما أيضا يوحنا الذي يدعى مرقس ، وأما بولس فكان يستحسن أن الذي فارقهما — بمفيلية ولم يذهب معهما ليعمل لا يأخذانه معهما فحصل بينهما مشاجرة حتى فارق أحدهما الآخر ، وبرنابا أخذ مرقس وسافر في البحر إلى قبرص . . . ٤٠/٣٦ — ١٥ أعمال الرسل .

وبرنابا نفسه يصور المعركة الحامية بينه وبين شارل بولس في

مقدمة إنجيله يقول :

أيها الإغراء إن الله العظيم العجيب قد افتقدنا في هذه الأيام الأخيرة بلبية يسوع المسيح برحمته عظيمة للتعليم والآيات التي اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثير بدعوى التقوى ، مبشرين بتعليم شديد الكفر ، داعين المسيح ابن الله ، ورافضين الختان الذي أمر به دائما مجوزين كل لحم بخمس ، الذين ضل في عدادهم أيضا بولس الذي لا أتكلم عنه إلا مع الأسى ، وهو السبب الذي لأجله أسطر ذلك الحق الذي رأيته وسمعته أثناء معاشرتي ليسوع لكي تخلصوا ولا يضلكم الشيطان فهلكوا في دينونة الله ، وعليه فاحذروا كل أحد يبشركم بتعليم جديد مضاد لما أكتبه لتخلصوا خلاصا أبديا .

١ — ٩/٢ برنابا .

بمقابلة هذه النصوص يدرك الباحث أن هناك معركة بين برنابا كتمثل للإتجاه الحواري اليهودي الذي أخذ عن عيسى مباشرة ، وبين بولس... كتمثل للإتجاه الهيلينسي المنفصل وأن الإتجاه الأول كما يراه العالم الفرنسي شارل جنى بير هو طابع الجماعة الأولى التي اعتزت بتقييمها ومبادئها .

وأن الإتجاه الثاني كان تيسيراً من بولس للوثنيين الرومانيين الذين دخلوا في هذا الدين حتى أدى في النهاية إلى فصله عن الدين الأم .

وسوف تظل هذه المعركة حامية حتى تنتهي موجة الرعب والإرهاب وتخلص المسيحية إلى نفسها بعد حين طويل من الدهر .

(ب) الاضطهاد مستمر :

ولد يسوع وسط جو ممتلئ بالخاوف حسب النص الذي انفرد به متى دون بقية الأناجيل المعتمدة ، وإن كان برنابا قد كتب عنه فهو غير معتبر عند القوم ، وفي عام ٧٠ م هدم الرومان أورشليم وأحرقوا المعابد وأعدوا كثيراً من المسيحيين ، وقد ظل هذا الاضطهاد مستمراً أثناء المشاكسات التي كانت تدور بين رؤس المسيحيين : اليهودية المسيحية ، المسيحية البولوسقية ، بل إن جميعهم قد قتلوا أو

باتوا حكاما مقضيا كمنجرهم لفعالهم ، وتعود علته هذه الكراهية ترجع إلى سببين :

السبب الأول : سياسى

• الثانى : إجتماعى

\* أما فيما يتعلق بالسبب السياسى : فإن الكنيسة قد جعلت من نفسها نداً مناهضا للنظام السياسى من حيث : إن المسيحيين الأول آمنوا بأن نهاية العالم وشبكة الوقوع وتطلعوا بآمالهم إلى يوم القيامة فقل لإهتمامهم تجاه واجبات الحياة الدنيوية ، وبالطبع تطلعوا فى عشق عامر بملكه القدس السماوية ، فأثر ذلك فى مصالح الحياة السياسية فى نظر الدولة ، لأن المسيحيين أبغضوا العسكرية لأنها تنطوى فى زعمهم على فرض وثنى ، كما أنهم رفضوا كل تأييد تطلبه الحكومة بدعوى أنهم لا يؤيدون الدين الوثنى الذى تؤمن به الدولة .

ففسرت الدولة هذا السلوك بأنه تمرد مدنى كأنهم خططوا ضد نظام الدولة . وكانت الدولة الوثنية الرومانية قد فرضت على جميع الأديان غير الرسمية إعلان الولاء للدين الرسمى [الوثنية] وجعلت الولاء للدين الدولة علامة على الوطنية ، وكان ذلك يستلزم تقديم القرابين للآلهة .. وكان المسيحيون يعتبرون ذلك جرما فى حق الدين ،

وكان ضميرهم يعارض بغيرة قاهرة ما تطلبه الدولة من إلتزامات وما يفرضه القانون من واجبات .

وبالطبع فإن الحاكم في أى عصر يرى أن الخروج على هواه جريمة يعاقب عليها بالإعدام ، ومن هنا فقد استمرت الدولة الرومانية الوثنية فى إضطهادها للمسيحيين .

• وأما فيما يتعلق بالسبب الاجتماعى :

فإن المسيحيين لم يحترموا تقاليد المجتمع الرومانى وعاداته، فكانوا يصورون الزواج والتكاثر على أن ضعف يرثى له أمام الغرائز الجسدية، ولقد سبق أن نوهنا على تأثر المسيحية البولوسية بالأراء الفنوصية ، ولم يكن لأعضاء الجالية المسيحية داخل المجتمع الرومانى الوثنى من وجهة نظر سوى القيم الروحية ، فهاجموا اللذات الجسدية والفروق الاجتماعية داعين إلى المساواة بين الأسياد والعبيد فى الايمان .

وكان من الصعب على مجتمع وثنى عاش آلاف السنين على نظامه الطبقي والاجتماعى أن يتقبل آراء المسيحيين تلك ، فكان المجتمع نحوهم كراهية وبغضا سهل للسياسيين إستمرارهم فى الاضطهاد البالغ الحد فى ألوانه ضد المسيحيين .

بل إن حالة الكراهية من قبل الدولة والمجتمع تجاه المسيحيين وصلت إلى حد أنه لا بد من القضاء على أحد الطرفين الكاره أو المكره .

— فالمثقفون من الرومانيين كانوا يحتقرون المسيحيين سواء كانوا يهوداً أو مسيحيين . ورأوا أن عقيدتهم لا تستحق مشقة الدراسة .

— وعامة الناس كرهوهم لغرابة أسلوبهم في الحياة ولبشاعة ما أشيع عنهم من أخبار ، فقد قيل — والله أعلم — أن أصحاب النيات السيئة ألقوا بالتهم على المسيحيين فاتهموهم بأنهم يضحوا بالأطفال وأنهم يتحللون في إجتماعاتهم السرية .

وبالطبع وجدت الدولة بهذه الكراهية وسيلة للقضاء على المسيحيين إرضاء لغيرة الشعب واحتراما لعواطفه ، وتحملت لذلك أسبابا واهية فقد يساق الشخص المسيحي إلى المقصلة لمجرد أنه :

\* رفض إقامة الشعائر باسم ألوهية الامبراطور .

\* أو لم يحرق البخور أمام صورته .

واعتبروا أن مثل هذه الاتهامات تأمر على الدولة وحددوا

عقوبتها الاعدام ، واستمر الاضطهاد إلى القرن الثالث الميلادى  
حيث شكل التيار المسيحى خطراً جسيماً على الدولة الوثنية الرومانية  
فقرر ملوك الدولة المتتابعين :

ريس - فاليريان - جالير - ديوكليسيان :

القضاء المبرم على الاكليروس - وعلى الكنيسة ، وعلى كل أثر  
الدين الجديد ، فأمعنوا فى التعذيب بأبشغ الأساليب وأقساها وأردتها  
ليحملوا المسيحيين على الارتداد إلى الوثنية ، ووضعوا أوهى التهم  
المدنية كجريرة عظمى يستحق صاحبها الموت :

ومن هذه التهم الواهية :

- الانسحاب إلى دين غير مشروع .
- الانتماء إلى جماعة سرية .
- رفض إطاعة الأوامر .
- التهرب من واجبات الحياة العامة أو الخاصة .
- التهرب من ممارسة السحر .
- التآمر على الخاكم .

وكان يكفي لدرء هذه التهم أن يعلن المسيحي أنه خرج من مسيحيته وذلك يدل دلالة صريحة على أن الغرض من الإجراءات القانونية هو القضاء على المسيحية ذاتها ولا شيء غير هذا .

ولقد أطلق للقضاء العنان في إصدار الأحكام حسب تقديره ومن أجه الشخصى يقول مسيو جنى بير :

وكانت الأساليب القضائية لدى الرومان تتصف بوجه عام بالقسرة ، وبلغت في ذلك أبعد جد بالنسبة إلى قضايا المسيحية ، لأن القضاء كانت لهم اليد المطلقة في تقدير العقاب على من تثبت عليه تهمة التآمر ضد الحاكم ، وقد استخدمت أكثر وسائل التعذيب وحشية لحك المسيحيين على الإرتداد .

وكان لمزاج القضاء الشخص بطبيعة الحال أثره في تخصيص ألوان التعذيب أو على العكس في الزيادة من عنفها (١) .

\* \* \*

ح - كيف خرجت المسيحية من هذا الاضطهاد؟

هل خرجت المسيحية من الاضطهاد المحيط بحياتها منذ لحظة ولادة يسوع إلى أوائل العقد الثاني من القرن الرابع الميلادى بتخطيط من رجالها؟

(١) المسيحية س ١٧٠



أو أنها أخرجت من هذا الاضطهاد لأسباب خارجة عن  
تخطيطها؟

وعلى أية حال فهل يعتبر خروجها من هذا الاضطهاد إنتصاراً؟  
أما فيما يتعلق بخروج المسيحية من الاضطهاد المستمر فله عاملان:

العامل الأول: التنازل عن التعصب المسيحي .

إن مجرّدات الحكام الذين أعلنوا الاضطهاد لم تكن مشقة ولم  
تأخذ صيغة الحزم الكافي لتحقيق الهدف ، بل كان أكثرهم متردداً .  
بل بعض المتشددين أنفسهم تردد في بعض الأحيان .

هذا من ناحية ..

ومن ناحية أخرى : فلم تكن هناك خطة شاملة لتنفيذ صورة  
الاضطهاد على مستوى الامبراطورية حتى في أحلك عهد الاضطهاد  
زمن الامبراطور ديوكليسيان ..

بل إنه رغم كثرة الشهداء طوال عدة قرون لم تجد الكنيسة لها  
خطة تقاوم بها الحكومة وإنما كثرة الشهداء أوجدت جواً من الشفقة  
الاجتماعية نحو هذا الدين المضطهد .

وأدى ذلك إلى أن المسيحيين أنفسهم لم يعودوا متعصبين ضد العادات والتقاليد الاجتماعية للمجتمع الروماني الوثني فطول الزمن مع طول التعذيب والاضطهاد جعلهم ينخرطون في السلك الاجتماعي عادات وتقاليد وطقوساً ومراسم ، فحصل لقاء اجتماعي ، أو تشابك معيش متبادل بين الجاليات المسيحية والمواطنين الرومانيين وبالتالي فقد بدأ هؤلاء المواطنون ينظرون إلى مبادئ الصبر والخلق الذي تدعو إليه المسيحية نظرة تقدير أخلاقي .

ورأى الجانبان إمكان العيش جنباً إلى جنب . . فكان ذلك أول عامل في خروج المسيحية من الاضطهاد السياسي والاجتماعي بصورة مبدئية . . وإنما كان ذلك على حساب بعض مبادئ المسيحية من جانب ولا على حساب أمن الدولة من الجانب الآخر . . لأن الدولة ما زالت لها قوتها وسلطانها .

### العامل الثاني : الصراع العسكري .

بعد موت جالبير عام ٣١١ م تقريباً انفتح مجال للتنافس على الحكم ، وطالب الحكم في لحظات التنافس يحاول أن يسترضى كثيراً من الاطراف ، ويصالح كثيراً ... من أهل الخصومات .

وكان المتنافس على العرش بعد جالير رجلان كلاهما عنيد  
وعنيف .. هما :

— قسطنطين كلوروس .

— ماكسانس حاكم إيطاليا.

وكلاهما وثني .. وكلاهما روماني الأصل والنزعة ..

إمستطاع ماكسانس أن يدعم جنده الوافر الكثير الشديد  
البأس بتأييد سائر الآلهة الوثنية .. فأقام لهم الصلوات ، وقدم لهم  
القرابين ، كما لم يذسى أن يضم إلى جنوده السحرة فإذا بقي لقسطنطين؟

فأتيه إلى رجال الاكليروس المسيحيين يساومهم أو يتفق معهم ،  
ومن قبل قدمت المسيحية عدة تنازلات ..

فهي لم تعد مارقة على الحياة السياسية .

ولم تعد كذلك منعزلة عن الحياة الاجتماعية .

فلقد شارك رجالها في الأعمال المدنية وشربوا من عادات  
وتقاليد المجتمع الروماني الوثني ، بل لأنها لم تر بأساً في أن تمتص من  
لباب العقائد الوثنية ما دام ذلك في صلاح أمرها (١) .

(١) شارل جني بيرس ١٧٢ .

فتشجع قسطنطين على عقد إتفاق أو مساومة مع رجال الكنيسة  
أن يعترف بدينهم كدين محترم إلى جوار دين الدولة الرسمي [ الوثنية ].  
ولما كان الدين في ذلك العصر الغاشم كما يسميه فشر الانجليزى  
يقاس الحق والباطل فيه يتمدار ما يأتى على يديه من نتائج . . . فإن  
قسطنطين وإن لم يكن بعد مسيحياً إلا أنه بعد إتصاره في موقعه جسر  
ملقيان عام ٣١٢ م بات يؤمن بالمسيح وبآلة الشمس القهار ، فحيا  
المسيحيين بكثير من التسامح ، وإن كان قد احتفظ لنفسه بالسكاهن  
الأعظم Pontifex maximus وهو المنصب الامبراطورى فى الديانة  
الوثنية الرومانية ، وضرب النقود فى عهده تحمل الصليب على  
وجه منها وتحمل على الوجه الآخر شعار عبادة الشمس .

كذلك عقد قسطنطين النية على تأييد طائفة المسيحيين باعتبار  
أنها سبب فى نظرة كما عن إلى الاشراف على نواحي نشاطها ، ورأى  
أنه لا بأس من التدخل فى شئونها ولذلك أصدر قانون مانو ٣١٣ م<sup>(١)</sup>

ذلك المرسوم الذى يعتبره مسيو شارل جنى بير سيداً فى إفساح  
مكان لإالة المسيحيين بين آلهة الدولة المعترف بهم ، والذى يجعل جميع  
الأديان متساوية فى الدولة<sup>(٢)</sup> وهكذا أخرجت المسيحية من عهد

(١) تاريخ أوروبا القرون الوسطى ج ١ ص ٦ فشر

(٢) المسيحية شارل جنى بير ص ١٧٣ .

الاضطهاد الذي يسمونه عصر الشهداء إلى دين رسمي معترف به في  
الدولة الرومانية الوثنية عصر قسطنطين . .

فهل يعتبر هذا الخروج إنتصاراً؟

وهل هو إنتصار مقدر عليها كاتبى تاريخ مقارنة الأديان؟

فيما يتعلق بالإجابة على هذا السؤال : هل يعتبر خروج  
المسيحية من الاضطهاد إنتصاراً؟

يجيبنا مسيو جنى بير بقوله :

« كان هذا الانتصار الذى يشهد به على الأخص تحول الدولة  
الرومانية إلى الدين الجديد فى القرن الرابع مرحلة هامة من مراحل  
تطور المسيحية . .

والمواقع أن المسيحيين كانوا قد دفعوا ثمن الانتصار ، دفعوه  
غالياً بحيث نستطيع القول فى شيء كبير من الجزم بأن مؤمنى عصر  
الحواريين لم يكونوا لينظروا إلى هذا الانتصار - لو قدر لهم  
ذلك - إلا على أنه نكبة كبرى .. وعذر مسيحيو عهد قسطنطين :  
أنه لم يكن بيدهم إختيار الظروف والشروط . .

والنظرة الأولى إلى أحوال المسيحية تكفى لأن تبين لنا أن  
الانتصار على أعداء الدولة ودفعها إلى إتجاه جديد : لم يكونا من  
نصيب أتباع المسيح حقيقة .

وإنما كان من نصيب حكامهم - أي الكنيسة - وأن تلك الامتيازات التي تمتع بها المؤمنون عامة على الحل الوسط الذي اتخذته قسطنطين لم تأتهم سوى نتيجة لإتفاق بين قوتين . بل بين حكومتين تبحث كل منهما أولاً وقبل كل شيء عن مصلحتها الخاصة (١)

والمصلحة التي كان يسعى إليها رجال الكنيسة هي التي يصورها شارل جني بير بقوله :

وانتهى الاكايروس وقد اطمأن للمستقبل من إنشاء تنظيماته خلال القرن الرابع وكان لاقامة الأساقفة المركزيين - والبطارقة :  
أرملوس في تسيق التدرج الوظيفي بالكنيسة التي اتجهت بذلك شيئاً فشيئاً نحو الملكية البابوية (٢) .

وهذا هو الذي يسمى علمياً الكنيسة الرابعة .

(١) المسيحية ص ١٨٢

» » (٢)



## المسيحية الرابعة

مسيحية قسطنطين

[ المجامع والمذاهب والفرق ]

- من الصراع العقدي إلى قيام البابوية .
- الثورة الإصلاحية والدين الإضافي الجديد .
- المسيحية أمام النقد والكشف العلمي .

[ إن السبب الرئيسي ، بل السبب الوحيد الذي جعل الامبراطور قسطنطين يتخذ المسيحية ديناً رسمياً إنما هو ما رآه فيها من التعصب الذي لا يوجد في غيره - من الأديان التي كانت منتشرة آنذاك في روما ] باييه





## أولاً : من الصراع العقدي

إلى

البابوية

عيسى لم يشيء كنيسة :

يقرر الكاتيون المسيحيون أن أكثر الأمور المحققة مشبوتاً لدى أي باحث يدرس الأناجيل في غير ما تحيز هو : أن المسيح لم يشيء كنيسة ، بل ولم يردّها ، بل إن افتراض العكس لن يجد له سنداً تاريخياً مقبولاً ، فلم يستطع رجال اللاهوت بكل ما أوتوا من براعة أن يقيموا على ذلك أدنى دليل .

ذلك :

أن عيسى كان يترقب حلول ملكة الله الوشيك ، ومن شأن هذا الأمل أن ينفى من منطقته كل فكرة تتعلق بالتنظيم الديني لاتباعه ، ثم إن عيسى كان يهودياً خاضعاً تمام الخضوع لشريعة بنى إسرائيل الدينية الحقة — لهذا كله لا بد لنا من الإيقان بأنه لم يكن ليحتمل فكره لحظة واحدة في رسم خطوط ما نسميه : بد الكنيسة .

أما ما يدعى من أن المسيح أعطى للحواريين سلطة فهذا محل جدل إلى اليوم ، وعلى افتراض احتماله - لا ثبوته - فإنه لا يتعدى أن يكون عيسى قد منحهم بعض ما أوتي هو من سلطان التبشير بالتوبة ، وبحلول ملكة الله ، لكنه ألبته لم يصنع لهم قساوسة حيث لم يكن هو في حاجة إلى هذا ألبته .

### والحواريون لم يمشروا كنيسة :

وإذا درسنا ما قام به هؤلاء الحواريون من أعمال فإننا لا نجد أنهم فكروا في إنشاء .. كنيسة ، فتمد ظلوا على الإخلاصهم للدين اليهودي وداوموا بكل دقة على شعائر عبادتهم لأنهم كانوا مؤمنين بأن المستقبل سيكون لملك الله وليس الكنيسة ما .

ودراسة نصوص الأناجيل تعطينا إدراكاً هو : أنها لم تلصق إلى المسيح تعبيراً يفيد بناء كنيسة ، اللهم إلا في مناسبة واحدة وهو يتحدث إلى بطرس في إنجيل متى [ ... وعلى هذه الصخرة سوف أبني كنيسة ] [ ١٦ / ١٨ - ١٩ ] ، وهو نص يفيد أن عيسى قد تنكر لرسالته التي جاء بها لبني إسرائيل لأن النص يفيد أن عيسى سينبئ كنيسة .. وقد انتهى ... ولم بين هذه الكنيسة .

على أن أفضلية بطرس لم يكن لها أي حظ من الواقع حسب

مراقبة الأحداث وتسلسلها ؛ لأن عيسى إتهم بطرس أنه سيكذبه  
ثلاث مرات قبل صياح الديك :

يقول النص :

« فأجاب بطرس وقال له : وإن شك فيك الجميع فأنا لا أشك  
أبدأ ، قال له يسوع : الحق أقول لك : إنك في هذه الليلة قبل أن  
يصيح ديك تنكرني ثلاث مرات ، قال له بطرس ولو اضطررت  
أن أموت معك لا أنكرك ... هكذا قال أيضا جميع التلاميذ . »

( متى ٢٦ - ٣٥/٣٣ )

وإذا راقبنا تسلسل الأحداث نجد أن بطرس ينكر عيسى ثلاث  
مرات :

الأولى : في النص رقم ٧٠/٦٩ ] أما بطرس فكان جالسا خارجا  
في الدار فجاءت إليه جارية قائلة : وأنت كنت مع يسوع الجليلي ،  
فأنكر قدام الجميع قائلا : لست أدري ما تقولين ] .

الثانية : في النص رقم ٧٢/٧١ ] ثم إذا خرج إلى الدهليز رأته  
أخرى فقالت : للذين هناك : وهذا كان مع يسوع الناصري ،  
فأنكر أيضا يقسم أني لست أعرف الرجل ] .

الثالثة في النص رقم ٧٣/٧٤] وبعد قليل جاء القيام وقالوا لبطرس  
حقاً أنت أيضاً منهم فإن لغتكَ تظهركَ؟ ، فابتدأ حيلمثذ ياعن، ويخلف:  
أنى لا أعرف الرجل ] .

وتؤكد فقرات انجيل متى في الاصحاح السادس والعشرين صدق  
نبوءة عيسى في كذب بطرس ثلاث مرات فقد ورد:

[ والموقت صاح الديك ، فتذكر بطرس كلام يسوع الذى قال  
له : إنك قبل أن يصبح الديك تنسكرفى ثلاث مرات ، نخرج إلى  
خارج وبكى بكاء مرا ] . ( ٧٥ - ٢٦ متى )

ولها . فإن فكرة إنشاء كنيسة بمعنى نظام تعبدى ، وتسلسل  
وظيفى كهتوتى اكبرىوسى يمكن القول بأنها نشأت فى ربوع العالم  
اليونانى بعيدا عن أرض الرسالة التى كان بها يسوع ، بل إن اليهود  
فى المهجر قد طردوا أتباع عيسى من معابدهم سواء كان هذا التابع  
يهودياً فى أصله أو غير يهودى ... فتسكون من هؤلاء الأتباع  
المطرودين من معابد اليهودية لاتباعهم عيسى مع الوثنيين اليونان  
الذين طردوا هم كذلك من معابد الوثنية لاتباعهم عيسى ... كونوا  
جميعاً تجمعا حول عبادة واحدة تمجد السيد المسيح : عيسى ...  
ولا شك أنها كانت عبادة بدائية كما يذهب إلى هذا الفهم مسيو شارل  
جنى بير ، غير أنها انطوت على فكرة الاجتماع الأخرى وفى هذه  
الحالة سُمى الأتباع أنفسهم بالقديسين .

وحتى هذا الحد فالعبادة أو الكنيسة التي يجتمع فيها القديسون أو الأتباع لم تزل جزءا من كنيسة الله التي لما تعد عالمية ، ولقد كان هذا المعنى في ذهن بولس - شاول - قبل أن يظهر كتنظيم كنسي ، وكان يعيش الأتباع داخل إطار بيئة قاسية من جراء الاضطهاد الذي يلاحق الأتباع في كل صقع من أصقاع الدنيا ؛ إذ كانت العبادات تؤدي سرا وخفية ... وظلت الكنيسة بهذا المفهوم الذي لم يتعد طور الأخوة بين المؤمنين المحايين دون أن تظهر كنيسة الله في كيان مادي ملموس .

ولانزال نشأة الكنائس الخاصة غامضة كل الغموض اعدم وجود أدلة كافية لأنها نشأت في أحضان الإرهاب السياسي ، والاضطهاد الحكومي والشعبي ، ويمكن القول افتراضا أن جماعات بدأت باسم التعاون بين صغار الناس ، وكان لكل جماعة مدير منتخب ، وصندوق تموله الاشتراكات ويشرف عليها مندوب خاص ... ففعل هذا النظام قد أخذت به الجماعات الدينية المسيحية المنتشرة ... فأنشأوا نظاما إداريا للكنيسة تطور فيما بعد إلى ما يعرف القسيس ، والأسقف ، والشماس ...

وقد ظهر ذلك في القرن الأول الميلادي ، ثم تطور فيما بعد إلى نظام متكامل معقد فرضته ظروف كثيرة : اختلاف المساواة في

العقيدة ، وتحمسهم للوطن ، وشراهم في جمع المال ، وتنافسهم على السلطات ... الخ وكان من مظاهر ذلك الاختلاف ما سمي بالمجامع

### المجامع والصراع العقدي :

تبرز دراسة المجامع المسيحية أهمية مجموعة من القضايا المتعلقة بتطور ونمو المسيحية الرابعة من حيث :

— كشف العوامل التي ساهمت في تأسيس ما يسمى بالمسيحية المعاصرة .

— انفصال الكنيسة جغرافيا إلى : شرقية ، وإلى : غربية

— انفصال الكنيسة عقديا إلى : كاثوليك ، وإرثوذكس ... الخ

— كيف نشأت البابوية

— من ثمار البابوية : ثورة الإصلاح الديني

— ومن ثمارها : فكرة فصل الدين عن الدولة

— ثم ظهور موجعات من النقد اللاذع الذي وجهه على

المسيحية أنفسهم إلى مسيحياتهم ، مما جعل للدراسات العلمية الحديثة أهمية خاصة في إظهار تهافت ديانة أوربا ...

### الهراع الديني حول عيسى :

عندما خرجت المسيحية من وراء الأسوار ومن تحت أنقاض ركام الاضطهاد الذي داومت عليه سلطات الدولة الرومانية وصارت ديناً رسمياً معترفاً به مع الوثنية: الدين الرسمي للدواه، كان على المسيحية أن تنتشر ، وأن تعمل على إذهاق روح الوثنية التي اضهدتها قروناً طويلة ، واتجهت النية بالفعل إلى هذا الهدف فبدأ التبرم بالعتيدة الوثنية ، وصار الرجل القسيس ينظر إلى الوثني نظرة مؤمن لكافر مشرك ، وراحت الكنيسة تلعب بصولجان السياسة لكنها في الوقت نفسه ، إذ كان لكل كنيسة قانون خاص بها لاتزال صاحبة الأمر المطلق فيه ، ولها الحرية التامة في تنظيم إيمانها ولوائحها فجر ذلك إلى اختلافات كثيرة معقدة في العقيدة الأساسية .

لقد اختلفوا في عيسى ذاته . . . وتبلور النزاع في رأى قسيسين كبيرين هما :

آريون المصري



## وإثناسيوس الإسكندراني

\* كان أريوس يرى : أن الإبن ليس مساويا للأب في الأزل وليس من جوهره ، وقد كان الأب في الأصل وحيدا فأخرج الإبن من العدم بإرادته ، والآب لا يمكن أن يراه أحد ، أو يكفيه أحد ولا حتى الإبن لأن الذي له بداية لا يعرف الأزل .

\* وكان اثناسيوس يرى عكس ذلك تماما : يقول : أن الإبن مساو للأب وهو من جوهره ...

وكان هذا قد استشرى في الإمبراطورية ، وظهرت كل كنيسة برأى :

— فكانت هناك كنيسة تدعى : أن المسيح وأمه إلهان ، وهي كنيسة البرابرة

— وكنيسة أخرى تقول : أن المسيح من الأب بمنزلة الشعلة التي انفصلت

من النار فلم تنقص الأولى ، وهي كنيسة بطلوما ليس بالخمس مدن الغربية

- ومنهم من قال : لم تحبل به مريم تسعة أشهر ، وإنما مرّ في بطنها كما يمر الماء في الميزاب وهي مقالة إيليان وأشياعة .

- ومنهم من كان يرى أن المسيح إنسان مخلوق من اللاهوت كواحد منا في جوهره ، وأن ابتداء الابن من مريم ، وأن الله جوهر قديم واحد وأقنوم واحد ، ولا يؤمنون بالكلمة ، ولا بالروح القدس ، وهي مقالة بطريك أنطاكية .

- ومنهم من قال : إنهم ثلاثة لم تزل : صالح ، وطالح ، وعدل بينها ، وهي مقالة مرقيون ، وزعم أنه رئيس الحوارين وأنكروا بطرس ...

هذا الشعب الديني أو هذا الصراع الديني الذي لا يستند إلى مصدر علمي ولا سند ديني سليم أقلق الدولة الوثنية التي سمحت للمسيحية بممارسة شعائرها في العلانية إلى جوار الديانة الوثنية الرسمية للدولة ... فجمع لذلك الامبراطور قسطنطين بناء على إعلام ميلانو عام ٣١٣ وبوصفه الكاهن الأعظم للديانات في الدولة ... جمع القساوسة المختلفين في شأن عيسى وعقد لهم أول مجمع مسكوني في مدينة نيقية عام ٣٢٥ م ، وقامت مناظرة حادة بين كبيرى

القساوسة : آربوس ، واثناسيوس ... وبعد أن احتدم النقاش انقسم المجتمعون وعددهم ٢٠٤٨ شخصا إلى جبهتين :

(أ) جبهة تناصر أربوس الموحد وهم الأغلبية الساحقة وعددها ١٧٣٠ قسا .

(ب) جبهة تناصر اثناسيوس اللامرحد وهم أقلية عددهم ٣١٨ قسا لكن قسطنطين - الوثني - ينحاز إلى رأى الأقلية التي تذهب إلى أن عيسى إله مساو لاقنوم الأب ... ولا شك أن انحياز قسطنطين إلى رأى الأقلية يثير تساؤلا عقديا هاما؛ لأنه لم يكن في هذا الوقت مسيحيا يقول المستر فشر المؤرخ الإنجليزى: الواقع أن الكنيسة المسيحية بانت حينئذ متمتعة بحماية السلطات المدنية مع أن الامبراطور لم يعتنق المسيحية رسميا ، ولم يسمح بتعميده إلا وهو على فراش الموت سنة ٣٣٨م<sup>(١)</sup> .

لقد جالس الامبراطور قسطنطين فى كرسي رياسة أول مجمع مسكونى وهو وثنى وناقش عقيدة المسيحيين المختلفين على أصلها بصفته الكاهن الأعظم للديانة الرسمية للدولة وهى الوثنية؛ ولهذا فإنه حسب تكوينه الدينى ينجح إلى مذهب الأقلية التي ترى أن المسيح ابنا مساويا

(١) يراجع تاريخ اوربا للقرون الوسطى ج١ ص ٦

للأب في الجوهر لأنه المذهب الذي يتناسب مع الوثنية الدين  
الرسمى للدولة .

وهو كحاكم وثني من الأفضل له وقد تعهد بحماية المسيحية أن  
توافق الديانتان : المسيحية المحظية ، والوثنية في مفهوم العقيدة .

وغاية الخطورة في تصرف قسطنطين راجعة إلى مستواه  
الاجتماعى فهو ينحدر من طريق غير شرعى قال فشر الإنجائزى :

وكان قسطنطين ابنا غير شرعى لضابط رومانى يرجع أصله إلى  
إقليم إيلريا من صاحبة حانة بمدينة نيش بالضرب الحالية<sup>(١)</sup> .

ويقول المؤرخ كيم Cam : إن قتل قسطنطين لزوجته وولده  
يدل على أنه لم يتأثر إطلاقا بتعاليم المسيحية وأخلاقها .

والذى يمكننا قوله فى مسيحية قسطنطينية : أنه ظل وثنيا حتى  
إذا ما أراد فقل عاصمته من القسم الغربى إلى بيزنطة فى القسم الشرقى  
كان عليه أن يسترضى سكان هذا الجزء من الإمبراطورية وهم جميعا  
من أتباع أريوس الموحد .

(١) تاريخ أوروبا : القرون الوسطى ج١ ص ٤

وهو الأمر الذي يقرره فاسيلينه Vasiliev : أن قسطنطين كان على استعداد تام لتغيير ميوله المذهبية بل والدينية وفق ما تتطلبه مصالحه السياسية ؛ ذلك أنه ظل يناصر اثناسيوس طالما كانت عاصمته في الغرب ، وطالما كان يعتمد على الغرب في قوته ، ولكنه عندما شرع في نقل عاصمته إلى الشرق وأحس بالحاجة إلى استرضاء سكان القسم الشرقي من الامبراطورية لم يجد غضاضة في تغيير عقيدته أو ميوله نحو المذهب الأريوسي .

ولهذا انعقد مجمع صور بعد ذلك في عام ٢٢٤ م لإبطال قرارات مجمع نيقية والتي من أهمها العفو عن أريوس الذي لم يلبث أن توفي بعد ذلك عام ٢٢٦ م قبل قسطنطين الذي حكم عليه قبلا بالطرد والحرمان عام ٢٢٥ م .

ولكن تعاليم أريوس انتشرت بعد موته أكثر من انتشارها حال حياته حسب الإعراف الذي أقر به الأستاذ زكي شنودة، في كتابه تاريخ الأقباط (١) .

---

(١) تاريخ الأقباط زكي شنودة ج ١ ص ١٥٧ .

الإفصال السياسي للكنيسة :

٢٨١ م

كان قسطنطين قد قسم الإمبراطورية بين أبنائه الثلاثة :

فأخذ قسطنطين الثاني الجزء الغربي

وأخذ قسطنطيوس الجزء الشرقي

وأخذ قسطنس الجزء الأوسط

وكل حاكم من هؤلاء الحكام أخذ يعمل على توطيد نفوذه  
عن طريق المذهب الديني السائد في مقاطعته :

\* فاتجه قسطنطين الثاني إلى تأييد مذهب اثناسيوس اللاموحد

واتجه قسطنطيوس إلى تأييد مذهب أريوس الموحد

\* وبدأ الصراع بين المذاهبين ثم بين الدولتين عندما مات  
قسطنطين الثاني وأصبح الدفاع عن المذهب الأثناسيوس مهمة رجال  
الكنيسة والأكليروس الغربي وخدم وبخاصة عندما توحدت  
الإمبراطورية تحت لواء قسطنطيوس ٣٥٣-٣٦١ م ذلك الإمبراطور

الذي راح يفرض كل وسيلة مذهب أريوس على جميع أجزاء  
الامبراطورية غربا وشرقا .

وفي حلبة النزاع السياسي هذا الذي يتجاذب أحد المذهبين :  
الأريوس أو الأثناسيوس قامت هرطقات جديدة حول  
العقيدة بعضها ينكر لاصوت الروح القدي ، وبعضها ينكر الأقانيم  
الثلاثة ، ويدعى أنه ذات واحدة ، وأقوم واحد ، ويأتي بجمع  
قسطنطينية الأول عام ٣٨١م ويقرر عدم شرعية المذهب الأريوس  
مرة أخرى ، ويثبت لاهوتية روح القدس كما وضع هذا المجمع سبعة  
قوانين جديدة تتعلق بنظام الكنيسة وسياستها .

غير أن هذا المجمع لم يعترف به البندكيون نتيجة هوى شخص  
فالأهواء عندما ينفتح بابها تشتد أعاصيرها وسبحان من يلفظ  
من سميرها ...

الصراع بين الكنيستين

الشرقية والغربية ٤٣١م

كانت الكنيسة في الشرق قد أسلمت زمامها للحكام السياسيين  
منذ أن اعترف قسطنطين بالمسيحية في اعلان مانو عام ٣١٣م  
ونصب نفسه كاهنا أعظم للدين في الدولة ، ومن يومها وقد صار

الامبراطور في القسطنطينية يمثل نوعا من القيصرية البابوية تلك التي تعنى الجمع بين السلطة الدينية ، والسلطة السياسية .

أما في الغرب فكان الوضع مختلفا تماما بسبب ضعف الامبراطوريات الغربية فلم تتمكن الأباطرة من فرض سلطانهم على الكنيسة ، ولذا وجد رجال الكنيسة فرصتهم جد سانحة في جعل أسقف روما امبراطورا دينيا ، فعملوا بذلك على تحويل كرسي أسقف روما إلى بابوية ومن هنا قام صراع بين الكنيسة الشرقية ، والكنيسة الغربية حول : من له حق السيادة على العالم المسيحي ؟

● أما الكنيسة الشرقية فإنها تزعم في نفسها أنها أحق بالسيادة على كل العالم المسيحي ؛ لأن القسطنطينية مركز الأباطرة الأول ، وبسط السلطان الديني يتبع السلطان السياسي .

وأما الكنيسة الغربية: كنيسة روما فإنها تزعم أنها صاحبة الحق في السيادة على العالم المسيحي كله ؛ لأنها خزنة التراث المسيحي منذ رحل إليها بطرس الرسول ، و بولس الرسول الذي تضم روما وفاته الشهير منذ عام ٣٦٨ م .

وقد ظهر هذا الصراع في مجمع أفسس الأول عام ٤٣١ م الذي انعقد



لينظر في هرطقة «بيلاجيوس» البريطاني الذي يذهب إلى أن خطيئة آدم قاصرة عليه وحده ولم تنترب منه إلى نسله، وأنكر بناء على ذلك فكرة الفداء.

وأعلن أسقف القسطنطينية انفصال طبيعة اللاهوت عن السيد المسيح ورتب على ذلك أن اللاهوت لم يولد، وبالطبع لم يصلب، ولم يقم معه الناسوت ألبتة.

وعليه: فعيسى إنسان تمتلئ بالبركة لا غير، وأن عبارة [ابن الله] ليست حقيقة بل هي مجاز يعنى الموهبة، وقد تبع تطورا هذا أربعون أسقفا من أشياخ كنيسة، وكان معه بطريرك انطاكيا كذلك.

واتهمها قساوسة الكنيسة الغربية فرصة لإظهار سيادتهم الدينية على العالم المسيحي - حسب زعمهم - فرفضوا رأى نسطورا، واغروه وطرده من رحمة الكنيسة، وقرروا: أن المسيح له طبيعتان: إحداهما لاهوتية، والثانية ناسوتية.

... وأخذ هذا الصراع يتصاعد حتى كان مجمع خليكندونية عام ٤٥١م فتحقق انفصال مذهبي بين كنيسة الشرق، وكنيسة الغرب،

وتبعاً لانقسامها سابقاً في مفهوم طبيعة المسيح ، فقد اختلفا في مشيئته ، وكانت فرصة سانحة كذلك ليعلو صوت الكنيسة الغربية على الكنيسة الشرقية فقالوا . بالطبيعتين وبالمشيئتين ، وسمى هذا المذهب بالمذهب الملاكاني ، غير أن الكنيسة الشرقية كانت أسرع في تحديد موقفها عندما أحست بأن القضية إنما هي قضية غلبة وسطو ، وليست قضية بحث وعقيدة وإيمان ، فأعلنت انفصالها عن الكنيسة الغربية ، يقول الأستاذ زكي شنودة المحامي المصري المسيحي :

« لا تعترف الكنيسة القبطية بمجمع خليكندونية ولا بقراراته ، كما لا تعترف بالجماع التي عقدت بالقسطنطينية بعد ذلك في سنة ٣٥٥٣ ، ٦١٠ ، ٧٨٦ لمخالفة الذين اشتركوا فيها مع الكنيسة القبطية في الاعتقاد بأن للمسيح طبيعة واحدة ، ومسيئته واحدة ،<sup>(١)</sup> .

ولهذا يقول المؤرخ بوري Bury : « هذه المشكلة استمرت قائمه تمثل سبباً للخلاف الديني ، والتباعد بين الشرق والغرب ،

ويقول دوش : Ducho : « نلاحظ أن الخلاف حول تفسير بعض المسائل الدينية كان دائماً من العوامل التي زادت من اتساع الفجوة بين الكنيستين : الشرقية ، والغربية .

ومن بين هذه المجادلات ولدت الكنيسة اليعقوبية ، وذلك أن  
جستينيان بعد فشله في التوفيق بين آراء الكنيسة حاول أن يسلك  
مسلك جستين سلفه العنيد فيقضى على الأريوسيين انتصاراً للأثنا  
سيوسيه لكنه لم يستطع لأن زوجته ( تيودورا ) - وكانت  
صاحبة الرأي المسموع عند الإمبراطور - كانت ميالة إلى المذهب  
الأريوس القائل بالإله الواحد فانهزت فرصة انتصاره في إيطاليا  
ودخول جيوشه إلى أوروبا وحاولت فرض مذهب الأريوسيين على  
البابا فيجابوس viglius ولكنه رفض فسبق إلى القسطنطينية حتى  
كان المجمع الثاني في القسطنطينية عام ٥٥٣ م فتقرر فيه أن المسيح  
حق وليس رمزا ولا خيالا ، وأنه طبيعته واحدة .

ونحن إذا نظرنا تاريخيا إلى ( تيوروا ) زوجة الإمبراطور جستينيان  
نجدها كما قال فشر :

إنها جوهرة غالية تلك هي الإمبراطورية تيورورا التي كان أبوها  
قبرصيا يشتغل بترويض الدببة بلعب القسطنطينية وكانت قبل  
زواجها من جستينيان ممثلة عاهرة ، كذلك عركتها كثرة الشقاء حتى  
جمعت في شخصها كل صفة من الصفات التي تلتصق بمهنتها وتجاربها

بما تشتمن منه نفوس الناس (١)

وفي المقابل كرد فعل تنشأ الكنيسة المارونية التي نرى أن المسيح له طبيعتان وله مشيئتان على عكس المذهب التي تنعصب له الإمبراطورة تيودورا .

### الفصل الإداري بين الكنيستين .

وتستمر الخلافات المذهبية القائمة على العاصفة الخاصة والغرض الشخصي دون قدرة على العثور على نص يساندها ... ويستمر الصراع بين الأهواء والأغراض باسم الدين إلى عام ٧٨٧ م ذلك العام... الذي تم فيه الفصل الإداري بين كنيسة القسطنطينية وكنيسة روما، وكانت القشة التي قصمت ظهر البعير وحققت هذا الفصل الإداري هي : أن عبادة الايقونات - الصرر - انتشرت انتشارا واسعا بسبب التوسع في النظام الديرى الذى عم بلاد اليونان ، إذ أن هذه الأديرة مارست أسلوبا أربى مآلتها ، وضاعف من ممتلكاتها ، ومن ضمن هذه الأساليب بيع الصور المقدسة وعبادتها ، وذلك دون مقابل يدفع للدولة كضرائب على هذه الدخول الكثيرة .

(١) تاريخ أوروبا القرون الوسطى ١٠ ص ٤٦٦ .

ورأى المثقفون أنه لا بد من موقف حاسم ضد رجال الأديرة ، فأصدر الإمبراطور ليو الثالث مرسومة عام ٧٢٦ م بتحريم عبادة الإيقونات ، ونفذ هو شخصيا هذا المرسوم على القصر الإمبراطوري فأزال الصليب الضخم الذى كان معلقا على بوابة القصر فى القسطنطينية ، ولما أثرت الجماهير قمع ثورتها بالعنف العنيف ، فأصدر البابا جريجورى الثالث قرارا بجرمان الإمبراطور ليو الثالث عام ٧٣١ م وذلك ظنا من البابا أن الإمبراطور تأثر بالحركة التى عمت كنائس البلدان العربية ضد الإيقونات فى عهد يزيد بن عبد الملك عام ٧٢٣<sup>(١)</sup>

وعلى أية حال فقد كانت هناك مواجهة بين سلطتين : سلطة الدولة التى تتدخل فى الدين السكسى ، وسلطة الكنيسة التى تصارع الدولة بالتدخل السافر فى شأن تعتبره من أساسيات وظيفتها .

ولم تعجز الحملة ليو الثالث فأصدر قرارا اقتصاديا ودينيا فى مواجهة قرار البابا وكان بمقتضى هذا القرار .

\* أن حرم على البابوية جميع حقوقها المالية وصادر كل أملاكها فى جنوب إيطاليا وصقلية .

(١) راجع كتاب محمد فى التوراة والانجيل والقران للقس إبراهيم خليل ص ١٣٤ .

● وفصل كرسي الأسقفيات في تلك الجهات ديدماً ، وقضائياً  
عن سلطة البابا .

● وجعل لبطريك القسطنطينية الولاية عليها .

وبهذا القرار تم انسلاخ كنائس القسطنطينية عن سلطة الكنيسة  
الغربية ، ثم مات ليو الثالث وخلفه ولده قسطنطين الخامس  
٧٧٥/٧٤١ م فورث هذا الجدل العنيف السفسطائي الأجوف في  
مسألة تقديس الإيقونات أو عدم تقديسها . فرأى على عادة  
الإمبراطورين أن يعقد مجمعاً مسكونياً لحل النزاع بعد أن أقام  
المتعصبون لعبادة الصور ثورة عارمة في بلاد البلقان، وأخذها عام ٧٤٢م ،  
وكان الإمبراطور حازماً فعقد مجمع القسطنطينية عام ٧٥٣م/٧٥٤م  
الذي حرم عبادة الصور في جميع أشكالها حتى ولو كانت للتقديسين ،  
كما حرم طالب الشفاعة من مريم العذراء فحصل قسطنطين الخامس  
بذلك على سلاح ديني ضد عشاق عبادة الصور .

ومات الإمبراطور قسطنطين الخامس وخلفه ولده ليو الرابع  
فأظهر ضعفاً أو تسامحاً تجاه عبادة الأيقونات ثم انقلب خجاة عليها  
كأنما عاودته نزعة أبيه القديمة غير أن أجله يوافيه سريعاً عام ٧٨٠ م  
فتتولى أرملة [ ريني ] أو [ إيرين ] السلطة كوصية على الطفل الذي

سيرت العرش فيما بعد وهو قسطنطين السادس وكانت هذه السيدة  
فضة غليظة الفؤاد بليدة الإحساس فدبرت لولدها مؤامرة في القصر  
عام ٧٩٧ م انتهت بالقبض عليه وسحل عينيه ثم أرسلته إلى أحد  
الأديرة ليقتضى عشرين عاماً مسجوناً في داخلها وهو محروم من نعمة  
البصر، واستولت هي على مقاليد الأمور، وأظهرت ميولها الشديدة  
تجاه نصرته الإيقونات، بل إنها عيّنت في منصب بطريرك القسطنطينية  
طرسيسوس أكبر دعاة الإيقونية - عبادة الصور - وعندئذ هلك  
كنيسة روما فانفرج باب الخصومة واسعا وانعقد المجمع المسكوني  
في نيقية عام ٧٨٧ م وقرر بقاء عبادة الصور وتقديسها، بل وأوجب  
وضعها في الكنائس، والبيوت، والطرقات، وعلموا ذلك بأن النظر  
إلى - ربه - يسوع ووالدته، وجماعة القديسين يشعر بالميل  
إلى التفكير فيهم<sup>(١)</sup>.

وليس من نافلة القول أن نلقى الضوء على حياة هذه السيدة لأنها  
أم خارجة على جميع مقاييس علم النفس إذ تجد من نفسها القوة على  
أن تفعل بولدها هذه الأفاعيل نظير وهم لايسنده نص ديني ولا تهليل  
منطقي مقبول .

---

(١) هذه نفس النظرية التي يدافع عنها علماء الهندوسية عن عبادة الأصنام راجع كتابنا :  
آلهة في الأسواق .

يقول في شأنها الكاتب العلامة فاسيليف : إنها من أمهر النساء  
أشهرهن وأكثرهن عنفا وميلا للشر .

ويفسر العلامة الإنجليزي فشر هذه العبارة بقوله :

« إتهم أهل روما البابا ايو الثالث بتهمة السيمونية  
وهي : بيع الوظائف في الكنيسة لمن يدفع أكثر ، كما  
اتهموه بالزنا والحنث في الإيمان وانقض عليه أعداؤه في  
شارع من شوارع روما ، ثم أوسعوه ضربا حتى أشرف  
على الهلاك ، وذلك في يوم ٢٥ أبريل سنة ٧٩٩ م فلما  
أرادوا محاكمته لم يجدوا للدولة امبراطورا غير تلك  
الأتينية الحسنة فقال القوم : إن الفصل في تلك القضية  
لا يمكن أن يكون من اختصاص السيدة الأتينية الجميلة  
( ريني ) التي أقامت نفسها امبراطورة في الدولة البيزنطية  
القسطنطينية بعد أن أمرت بسمل عيني ابنها قسطنطين  
السادس وحكمت عليه بالسجن ليقضى حياته في ظلام  
ليس بعده ظلام .

لأن ( ريني ) لم تصلح - لاهي ولا ابنها اللابوقوني

التعس - في الفصل في هذه القضية<sup>(١)</sup> .

( ) راجع تاريخ أوروبا القرون الوسطى فشر ج ١ ص ٨٨/٨٦ .



نشأة الأرثوذكس والكاثوليك :

شد الحبل في قضايا الدين كان اللعبة المفضلة بين بطريك القسطنطينية وبابا روما ، والزمن قد يطول وقد يقصر في المصارعة بين الكنيستين في عملية شد الحبل هذه ، ولكن الظاهرة أن المسيحيين لم يتعبوا منها زهاء تسعة قرون مع أنهم في طول هذا الزمن لم يستندوا في مناقشاتهم وحوارهم إلى نص ديني ولم يقيموه على مصدر معتمد ، ولم يرثوا من السابقين منهم حضارة تفسر لهم ما هم فيه من فوضى ، ولم يكن الأمر إلا سلطة تجاذب سلطة ، ورياسة تطغى على رياسة والدين - المسيحية - هو الذي يمزق بين كلا القوتين ، ولأنه لمن غريب الأمر أن نجد باحثا عالما متقنا فن التحليل والحوار مثل مسيو جنى بير . . . . . نجده يرجع كل عمليات ( شد الحبل ) إلى طبيعة الفكر المسيحي الشرقي ، ويبعدها عن الفكر المسيحي الغربي ، إنه يقول :

« . . . . . وعلمنا بعد ذلك أن نذكر مسألة هامة وهي :  
أن المناقشات العقائدية الكبرى التي نارت خلال هذين القرنين وعكرت صفوهما قد نمت جميعا في الشرق ، أما الغرب فلم يفهم لها مغزى ، ولم يهتم بها . . . . » (١)

(١) راجع المسيحية نشأتها وتطورها شارل جنى بير ص ١١٥ .

وهو تحسّم لأن الغرب كان هو مسرح العمليات الأولى بدليل أن روما تعزّز بسيادتها لأن بطرس وبولس رحلا إليها ومنهما خرج هذا الشقاق والسكنائس الأول التي قامت هي كنيسة بولس كما يذهب إلى ذلك مسيو جنى بير نفسه .

وأما كان الأمر فإن العلة الرئيسية في هذا الصراع هي غيبة الوحي المعصوم تلك العلة التي يعترف بها مسيو شارل جنى بير نفسه إذ يقول :

د أول الصعاب التي تعترض الدراسات نجدها في النصوص نفسها التي تمتاز عن سائر النصوص الأخرى بضعف السند ، وبالاضطراب ، وعسر التحقيق ، وأقدم هذه النصوص وأهمها - لأنها تناول حياة المسيح والزمن الأول للعقيدة - هي تلك التي احتواها العهد الجديد ، والتي استلزمت قبل إمكان الاعتماد عليها تحقيقاً نقدياً دقيقاً مطولاً ، لم يوشك بعد على الانتهاء ولم يكن في المقدور افترة طويلة من الزمن أن نستخرج العناصر والأسانيد إلا منها ، بحيث اضطّر المفسرون من أجل تفهمها إلى ترتيب المعاني وتهئية الحواشي ، والتعليقات ، ولجأوا إلى النظريات والفروض وبالها من ضرورة مؤسفة .

وقد يحدث أحيانا والتحقيق النقدي في طريقه إلى  
الإثمار أن تكتشف وثائق قاطعة في المعاني المختلف عليها ،  
أو تظهر نظريات وآراء جديدة لها وجاهاها فيعود الباحث  
من حيث بدأ ، (١) .

فالعلة إذن ليست هي الشرقية أو الغربية في عملية شد الحبل الديني  
بين الكنائس كما يعلل - تعصبا - شارل جني بير دفاعا عن الفكر  
الغربي ، ولكن العلة الأساسية هي : انعدام المصادر الصحيحة التي  
منها تستقى أصول العقيدة ، وأساسيات العبادة ، وهذا هو الذي  
اعترف به مسيو شارل جني بير فيما نقل عنه سالفا .

وعلى سنة الكنائس في هداية لعبة شد الحبل أو العنودية بلغة  
الفلسفة، أو في مخالفة الرأي الآخر بغية السيطرة من أي من الجانبين  
على هذه السنة أثار بطريك القسطنطينية مسألة جديدة اخترعها هو  
اخترعا وليس لها عنده من سند ولا مستند وهي مسألة انبثاق  
الروح القدس ... ورأى أنها منبثقة عن الآب وحده .

وعلى عادة القوم أيضا انفرج باب النزاع واجتمع لاعبو  
(شدد الحبل) فأعلن بطريك روما أنه يخالف هذا الرأي وذهب

(١) المسيحية نشأتها وتطورها شارل جني جبيرس ١٧ .

إلى أن الانشقاق عن الآب وعن الإبن معاً . . . وتصاعد التشاجر وتغالب الفريقان فانهقد لذلك مجمع القسطنطينية الرابع عام ٨٦٩ م وقرر عزل بطررك القسطنطينية (فوسيووس) كما قرر أن القدس منبثق عن الآب والإبن مما ، وقرروا كذلك : أن كل من يريد أمرا يتعلق بالمسيحية وبعقائدها فليرجع إلى كنيسة روما .

وهذا هو محل النزاع الأصلي والغاية التي يسعى إليها كل فريق متحمس للعبة شد الحبل ولذا فقد قرروا في هذا المجمع إمعاناً في النشاط وتحقيقاً للسيادة : أن جميع المسيحيين خاضعون لكل المراسم التي يقوم بها رئيس كنيسة روما<sup>(١)</sup>

فهل إلى هذا الحد انتهت عملية شد الحبل ؟

هل إلى هذا الحد انتهت حاية المشاكسة فلم يعد هناك مشاهد

أخرى ؟

لا : لقد نشط بطريرك القسطنطينية المفصول ( فوسيووس ) وعمل على عودته إلى مركزه ، فعمد مجمع في القسطنطينية عام ٨٧٩ م

---

(١) يسمى هذا المجمع اللاتيني الغربي: ومجمع القسطنطينية الرابع ٨٦٩ م راجع

كتابنا : يأه الكتاب فصل المجمع .

يعنى بعد عشرة أعوام من المجمع السالف ، وحصل فوسسيوس على قرارات تبطل قرارات المجمع السابق ، فقد ألغى هذا المجمع كل قرارات المجمع ... اللاتيني الغربي وقرر عكسها : أن الروح القدس تنشق عن الأب وحده ، وأنه لا اعتراف بالمجامع السبعة التي آخرها مجمع نيقية عام ٧٨٧ م .

وبذلك تم الفصل بين الكنيستين : الشرقية ، والغربية ، ثم الفصل جغرافيا ، وعقائديا ، وسياسيا ، واختارت كل كنيسة لها نظاما وعقيدة ، بل واسما .

(١) فالكنيسة الشرقية اختارت لها :

- اسما : الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية بمعنى المستقيمة لأن كلمة : orthodox تعنى المستقيم .
- وعقيدة : هي الطبيعة الواحدة ، والروح القدس منبثق عن الأب وحده .

- وسياسة : لا تعترف لباباروما بسيادة على كنيسة من كنائسها ومناطق نفوذ هذه الكنيسة وبلاد الشرق العربي والأوربي ، وكان هيلاسلاسى يحاول أن ينشرها في جنوب شرقى آسيا ، وهناك محاولات جادة مستميتة وصامتة لنشرها في استراليا ، وأمريكا .

(ب) والكنيسة الغربية اختارت لها

• اسما : الكنيسة البطرسيية الكاثوليكية وتعني العالمية الثانية  
على الرأى لأن كلمة catholic تعني المبدأ القديم .

• وعقيدة : طبيعتان للمسيح : وروح القدس منبثق عن الأب  
والإبن معا

• وسياسة : تدعى السيادة على جميع كنائس الامبراطورية

ومناطق نفوذها بلاد الغرب : بلجيكا وإيطاليا ، وفرنسا  
وأسبانيا والبرتغال ومحالات التبشير الكاثوليكي سافرة في شتى أنحاء  
العالم حتى ليليان تكثر جاء من بعيد لتقيم في الشاطى الشرقى لنيل  
أسيوط من أجل أن تقيم لها مملكة صغيرة باسم الكاثوليك

ملاحظات :

إلى هذا الحد الزمنى الفاصل بين عقيدة الأرثوذكس وعقيدة  
نذكر بما يلى :

١ - الكنيسة المصرية القبطية وتسمى بالكنيسة المرقسية  
انشقت عن عالم المسيحية عام ٤٥١ م حيث لم توافق على قرارات  
مجمع خليقدونية عام ٤٥١ م لأنه حكم بطرد بطريك الاسكندرية  
لقاله ، أن المسيح له طبيعة واحدة .

٢ - الكنيسة الأرثوذكسية انقسمت إلى كنيستين : قبطية  
رياستها في الاسكندرية وأخرى أورشليمية بالقدس لأن هذه  
اعترفت بقرارات مجمع خلقدونية .

٣ - الكنيسة اليهقوبية انشقت عن العالم المسيحي إثر مجمع  
القسطنطينية الثاني عام ٥٥٣ م لأنها تقول بالطبيعة الواحدة  
والمجمع قرر الطبيعتين .

٤ - الكنيسة المارونية انشقت عن العالم المسيحي لأنها تقول  
بالمشيئة الواحدة للطبيعتين والمجمع القسطنطيني الثالث عام ٦٨٠ م  
قرر المشيئتين .

٥ - الكنيسة البيزنطية الأرثوذكسية انفصلت عام ١٠٥٤ /  
١٨٧٩ م لأنها تذهب إلى أن روح القدس منبثق عن الأب وحده وهي  
القضية التي استمر الصراع حولها عشرة أعوام .

٦ - الكنيسة الغربية البطرسيّة الكاثوليكيّة انفصلت في نفس الأمن الذي انفصلت فيه عدوتها ولنفس الأسباب ذاتها

والسؤال الآن :

هل انتهت الصراعات الدينيّة وبخاصة بعد قيام البابوية المستقلة في روما؟



## البا بوية

نشأت البابوية نتيجة عاملين : -

أولهما ديني : وهو النزاع المستحكم بين بطارقة القسطنطينية وبطارقة ... روما الذي انتهى بالانفصال التام في عام ١٧٩ م .

وثانيهما : ضعف الإمبراطورية الغربية بعد التقسيم وذلك بسبب عجز الدولة عن فرض سلطانها على الدين والدنيا معاً عكس ما قامت به الدولة البيزنطية في القسطنطينية وأيما كان الأمر فلا يهنا كثيراً أسماء البابوات ولا عددهم بقدر ما يهنا من تطور ديني الحقوق في نظامهم الكنيسي الغربي والذي لم تقل به الكنيسة من قبل ولم يقل به عيسى ولا الحواريون

واقدم ازدهرت البابوية في عهد اللباردين فتضاعفت ممتلكات الكنيسة وذلك بسبب التوسع في نفوذ رجال الأكليروس فتد سهلت لهم الساطة الاستيلاء على الأراضى وقد ساعدهم على ذلك عاملان :

الأول : الفوضى السياسية والاجتماعية التي سادت إيطاليا في

ذلك العصر .

الثانى . أن صغار الملاك في إيطاليا بحثوا عن سلطة تحميلهم من فوضوية النزاع القائم بين البيزنطيين واللمباردين فلم يجدوا غير الكنيسة فسلموا أراضيهم إلى رجالها .

وكان البابا جريجورى الأول هو الصورة الواضحة لقوة البابوية كما يقول تومسون Thomason حتى أن حكومته في روما لتقترب من حكومة الامبراطور الدنيوى وقد استغل موارد البابوية المالية في الأغراض التى تعود على العالم المسيحى بالخير وتدعيم الكنائس لأنه شعر بأنه أب لكل مسيحى فى نطاق البابوية .

فأدى هذا إلى صدام استمر زمناً طويلاً بين السلطة الزمنية والبابوية (١) حتى كان شارلمان فسلب البابوية كل شيء لأنه حكم لصالح البابوي الثالث سنة ٨٠٠ م تقريباً .

وكان هذا البابا قد اتهم بالرشوة والخنث فى المين والزنا فبرأه وألبسه تاج البابوية وانفق مع حواريين أن يهتفوا : يعيش شارل المنصور (٢) .

وحاولت البابوية التخلص من قبضة شارلمان الذى ادعى أنه لإمبراطور الدين والدولة معاً . . . . . وطال حبل المجاذبات

(١) راجع تطورات هذا النزاع فى كتابنا يا أهل الكتاب ص ٢٥٤ وما بعدها .

(٢) نشر تاريخ أوروبا فى القرون الوسطى ط ٨٥

بين الدولة والكنيسة زمناً طويلاً إلى أن تم الانشقاق الكبير بين الدولة الكنيسة ١٤٤٥/١٤١٤ تقريباً. فحدث أن كان في الامبراطورية الغربية عدة بابوات في عدة أماكن تبعاً لتعصب كل إقليم للبابا الذي ينتسب إليه.

فكان هناك بابا في روما

فكان هناك بابا في فينيزا

وكان هناك بابا في أفينيون .

وفي خلال هذه الفوضى البابوية كانت هناك ثورة مدنية ضد النظام العقدي المسيحي فكان (وكاف) (وحناس) ينكرون التحول المادى في إقداس العشاء الربانى .

وينكرون أن رجال الكنيسة لهم قوة روحية خاصة .

وأن طاعة البابا واجبة .

\* وأنكروا صكوك الغفران .

\* ودعوا رجال الكنيسة إلى البساطة والزهد .

واعتلى سيجسمون ملك هنغاف ياعرش الامبراطورية ١٤١١

١٤٣٧ م وقضى على الفوضى البابوية وهزل كلا من بابا فينيزا ،

أوفينيون ولم يعترف إلا بابا روما .

والذى يهمننا من هذا هو الحقوق التى اخترعها البابوات لأنفسهم  
من خلال المجامع التى عقدها للكنيسة الغربية .

• فقد جعلوا تعيين الأساقفة من شأنهم لامن شأن الحكام  
عام ١١٢٣ م .

\* وأن انتخاب البابا يكون بثلاثى عدد الكرادلة عام ١١٧٩

\* منح الغفران لمن تشاء الكنيسة .

\* يتحول الخبز والخمر فى العشاء والربانى إلى جسد ودم السيد

المسيح عام ١٢١٥ .

\* إقرار أن البابا معصوم ١٨٦٩ م .

ولم تستطع البابوية أن تغلق عقول الناس ، ولم تستطع أن  
تحرم الفكر من التحرك ولم تستطع أن تقتل حرية التفكير لأنها  
فطرية . . . . . فقامت على ذلك ثورة وثورة تريد الإصلاح . . .  
الإصلاح فى الدين الذى جاءت به الخطام والمجامع وعقول  
القساوسة<sup>(١)</sup> ولم يمنح هذه الثورة فظاظة أحكام محاكم التفتيش  
ولا عصمة البابا ولا قرارات الطرد والحرمان .

(١) راجع بتوسع تاريخى للفصل الثانى والعشرون الناقدون والمصلحون ص ٣٥٥ فشر .

## ثانياً. الثورة الاصلاحية والدين الجديد

بدون بواس كان من المحتمل ألا توجد المسيحية... هكذا قال مسيو شارل جنير وإلى هذا يذهب السير آرثر فنزلاي في كتابه الكون المنشور: أن بواس هو الذي وضع أساس الدين الذي يسمى الدين الجديد.. الدين الذي ولد طفلاً عملاقاً متكاملًا في مجمع نيقيه ٣٢٥ م بأمر الإمبراطور قسطنطينيين .

ونسى كلا الطابقيين الجهود الضخمة التي بذلت في المجامع والمذاهب الكثيرة التي قامت عليها عدة كنائس . وبالطريقة القسطنطينية والبابوية الرومية ذات السلطان الغار الواسع المستبد الذين بسطوا نفوذهم ودمسوا أنوفهم في كل صغيرة وكبيرة .

يقول الكاتب الاربى [ آديم ] Idem : أن لإزدياد تدخل رجال الكنيسة في الحياة العلمية ترتب عليه عديد من الآثار الاخلاقية فسرعان ما أصبحوا من رجال الإقطاع بل إن وظائفهم نفسها غدت إقطاعية كما أدى زواجهم إلى إنصرافهم نحو جمع الثروة ليورثوها لابنائهم .

فما دامت العقائد منذ بولس ، وما دامت النظم في الدين المسيحي  
تأني عن طريق العقل والغلبة والسلطان حيث غاب المصدر ولم يورث  
القوم إسلوبا عمليا يفسر نصوص مصادرهم ... فأية علة تمنع رجال  
الاكليروس ورؤساء الكنائس من التدخل في شئون الناس لاسيما وهم  
يعتقدون أنهم ظل الله في الأرض وأن روح يسوع قد حلت فيهم  
وأن البابا نائب عن المسيح .

وبناء على هذه المعتقدات الصناعية تصرفت الكنيسة مع الشعب  
فسلكت سبيل القهر والعنف والتسلط ففرضت عليهم إتاوة على كل  
فرد مسيحي : صالح أو مصالح . وقصرت أحقية تفسير الأناجيل  
لرجالها فقط وحجزت على عقول العلماء تفسير أي قانون في الكون .  
وانشأت محاكم للتفتيش على آراء العلماء وأعدمت حرقا مجموعة من  
المخالفين لها .

كما كان تصرفها نحو الحكام لا يقل فظاظة عن معاملتها للشعب  
فأصدرت عديدا من قرارات الحرمان والطرده ضد بعض ملوك أوروبا  
ومنهم فردريك ملك فرنسا وكذلك حرموها وزوجته وطردها من  
مغفرة الكنيسة .

والشعور بالسلطة يدفع إلى الديكتاتورية وهي بالتالي تدفع إلى

سلوك أنانى متبجح لا يحترم قيما ولا يأبه بعرف فادعت الكنيسة أنها تملك بيع الغفران في صورة صكوك تباع بالمزاد تارة وبالجزر تارة أخرى .

وكانت الكنيسة قد صارت من ذوى الاقطاعات الكبيرة فانغمروا في الترف المذهل ، ويصفهم السيد أيتين ديليه الفرنسى بقوله :

إن هؤلاء الوسطاء شر البلايا على الأديان وأنهم كذلك مهما كانت عيديتهم ، ومهما كان إخلاصهم وحسن نيتهم وقد أدرك المسيح نفسه ذلك ، ألم يطرد بائعى الهيكل ؟ غير أن أتباعه لم يفعلوا ما فعل واليوم عاد عيسى فكم يطرد من أمثال بائعى الهيكل ؟ كذلك ما أكثر البلايا والمصائب، بل ما أكثر المذابح والمجازر التى يكون سببها هؤلاء الوسطاء سواء كانت بين العائلات أو بين الشعوب وهم فى ذلك كله يصيحون باسم الرب (١) .

فهل ستظل العقلية الأوروبية مقهورة لتعاليم مخترعة من عند ذات أنفس سلاطين الكنيسة ورؤساء الأديرة . ؟  
لقد هبت موجات من ثورة الإصلاح فى تيارين عنيفين لا يقل أحدهما عن الآخر خطورة فيما يصبوا إليه .

(١) نقلا عن أشمة خاصة ترجمة الأستاذ راشد رستم ص ٢٣ :

لقد كان هناك تيار الفكر والثقافة .

وكان هناك تيار المنصفين من متعقلي القساوسة .

• يرجع التيار الفكري والثقافي المنادي بإصلاح الكنيسة إلى تلك النفرة السوء التي بعثت بها أوربا زهاء قرنين من الزمان إلى بلاد الشرق الإسلامي في صور الحروب الصليبية فحسرت سمعتها وجيوشها وكرامتها وعادت بعد خيبة الأمل وهي تحمل آثاراً من الروح الإسلامية ومن الثقافة الإسلامية ومن المعامل العلية الإسلامية وقارنت حياتها بما لقيته في حضرات الإسلام فأدركت أنها متأخرة متخلفة فراحت تترجم علوم المسلمين لتبليغ شأوا في الحضارة . . .

وكان من أول آثار الحضارة الإسلامية في نفوس مثقفي أوربا تلك البساطة في عبادات الإسلام التي يقابلها في التعبد في الكلدسي طقوس معقدة لا يقبلها عقل ولا يحس بها خاطر .

وكان أول نوع من التدين المسيحي المطلوب إلغاؤه الوساطة بين العبد وربّه وصكوك الغفران والعشاء الرباني وقام بهذه الثورة يوحنا هس الذي حكم عليه بجمع كونسطنس ١٤١٤/١٤١٨ م بالإعدام حرقاً جزاء فريته في حق الكنيسة ثم يقولون بعد هذا الله محبة ، وإذا ضربك أخوك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر ...



وأين هو التسامح الدينى الذى تصيح به كنائس العالم فى العصر الحديث !

ولم تمت الثورة الفكرية ضد الكنيسة بل إزدادت فطان آرزم الذى دعا المثقفين إلى قراءة الكتب المقدسة وفهمها والتوصل إلى العقيدة من مصادرها .

ويكون آرزم صديقاً للبابا فلم يحمل عليه بل دعا إلى إحترامه لأن البابا ليو العاشر كان معجباً بعقلية آرزم .

وكان مع آرزم تومس مور ١٤٧٨/١٥٣٥ م وذلك الإنجليزى الثائر على الكنيسة وطقوسها وأنظمتها .

غير أن الخوف لا الاحترام فى نظرى هو الذى دفعه إلى القول باحترام البابا مع وجوب إصلاح الكنيسة... وكيف يفضل إصلاح الكنيسة والبابا هو نفسه الكنيسة أليس هو نائب المسيح ! أليس هو ظل الله فى الأرض ! أليس هو الذى يشرع ! أليس هو الذى يغفر ! أليس هو الذى يطرد ويحرم !

\* ولم يكن التيار الفكرى وحده فى ميدان الثورة ضد الكنيسة بل كان هناك من داخل الكنيسة صوت يئن ويستخط وذلكم هو مارتن لوتر ١٤٨٣/١٥٤٦ م .

لقد ولد من أسرة فقيرة ولكنه وصل إلى مرحلة الدراسات العليا في القانون غير أن ميوله كانت دينية أكثر منها قانونية فعكف على دراسة اللاهوت كما عكف على دراسة الفلسفة وشك في صلاحيتها وكان يرى أن أرسطو من عبده الأوثان ... ودفعة فضوله الديني إلى حج بيت البابا ليحصل منه على البركات... وما إن وطئت قدمه أرض روما حتى اعطدمت مشاعرة بمصيبه . لقد كان يحلم بأنه سوف يقابل ورعاً وخشوعاً وطهراً وتديناً وقاراً وحلماً وأدباً ورأفة ... فإذا به يجد مدينة ماجنه خليعة ، ويجد نفوساً دنسة . وطرقاً محاطة بالريب وديناً مستهاناً به ، وجرأه على ارتكاب الخطايا .

ووجد الملائكة الذين تخيلهم قديسين قد انغمسوا في شهوات بهيمية شيطانية ... فانفعلت نفسه بلهيب من الغيرة على الدين فأخذ يدعو إلى إصلاح الكنيسة .

وارتبطت حياة لوثر بظروف سياسية وذلك بعد أن حكم عليه مجمع ورمز ١٥٢١ م بالحرمان والطراد ، حيث ظهرت نبرة جديدة عند حاكم سكسونية فحما لوثر من قرار محاكم التفتيش ثم تحولت هذه النعرة إلى نعره قومية لحماه الشعب الألماني عام ١٥٢٩ م . عندما حاول الامبراطور تنفيذ حكم الطرد والحرمان وتكونت على صياحات لوثر ديانة جديدة وهى مسيحية أيضاً تسمى البروتستانت : يعنى المعترضون .

وتتلخص هذه الاعتراضات التي صارت دينا عند أهلها في :-

- البابا ما هو إلا كبير المرشدين وليس خليفة للسيد المسيح .

- عزل رجل الدين إذا لم يؤد واجبه .

- لإصلاح نفسية رجل الدين يجب أن يتزوج الأساقفة .

- لكل مسيحي الحق في فهم الكتاب المقدس دون الرجوع

إلى الكنيسة .

- العشاء الرباني تذكار للغداء ولا يتحول إلى دم المسيح

وجسوه .

- لا رهبنة ولا أيقونات .

- ولا يجوز استعمال لغة غير مفهومة في الصلاة .

وكان معه ثأرون ضد المسيحية الكاثوليكية فكان في سويسرا

زوبخلى ١٤٨٤/١٥٣١ م يدعو إلى نفس الأفكار التي يدعو إليها مارتن

وكان بعده كلفن الفرنسي المولود عام ١٥٠٩ م . فأسس الكنيسة -

البروتستانتية الانجيلية ، وسماها بذلك لأنها تأخذ تعاليمها من الإنجيل مباشرة (١) .

فهل إنتهت موجات السخط والانتقادات !

إنها لم تنته بعد ولن تنتهى... فقد إمتلأت خزائن العالم في جامعات أوروبا بكراسات النقد والبحث اللاذع الذى سوف يكشف عن الحقيقة فإن الحق فالذهب لا يصدأ بطول دفنه فى التراب .

---

(١) راجع التفاصيل الدقيقة لهذا الموضوع فى كتابنا: أضواء على المسيحية من ١٢٦/١٣٩  
يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء من ٢٨١/٢٨٥ :

## ثالثا

### المسيحية أمام النقد والكشف العلمي

لم تحم التنظيمات الأكلروسية في هذه المسيحية الرابعة ذات  
المسيحية من النقد اللاذع أو من التحليل العلمي .

بل إن هيمنته البابوية بما أعدته من جيوش عسكرية سلطتها  
على الشرق الاسلامي عشرات السنين .

وإن هيمنة المحاكم الديلية التي شلت إلى حين من الدهر الفكر  
العلمي التجريبي ... إن كان ذلك لم يمنع رجال المسيحية من نقدها  
ومن تحليلها تحليلا علميا يظهر زيفها ويظهر مروقها على رسالة يسوع  
المسيح ...

وفي افتتاحية هذا البحث يمتعنا ( فشر ) الكاتب التاريخي  
الانجليزي بعبارة تصور علة من العلل الدافعة عقول أبناء أوروبا  
المسيحية إلى نقد المسيحية التي دان بها الأجداد والأبناء :

يقول فشر :

ثم إن الفخامة والأبهة والزينة التي ملأت البلاط البابوي واجتذبت إليه طوائف الفنانين والعلماء الإيطاليين والفرنسيين فضلا عن المحسوبة الشائنة التي أغرقتها المناصب الكبرى في الكنيسة على أقارب البابوات ، وأبناء أقاربهم ، فضلا عن الأموال الكثيرة التي ابتزها الجباة البابويون للإنفاق على هذه المظاهر وعلى المشاريع السياسية البابوية في إيطاليا - كل ذلك أسخط أصحاب العقول المتزنة في جميع أنحاء أوروبا<sup>(١)</sup> .

ويـمكن تقسيم الساخطين على المسيحية الأوربية إلى صنفين من العلماء :

— صنف نقد وهـذا بعضه ترك الاشتغال بالمسيحية والبعض الآخر دخل في الاسلام .

وصنف بحث بحثا علميا وهـذا الصنف كسابقه بعضه استمر

(١) تاريخ أوروبا : المصور الوسطى > ص ٢٦٠ .

على حاله مسيحياً شاكا غير مؤمن بدينه ولكن تربطه الجاذبية الاجتماعية والتقاليد الأسرية والنزعة العرقية الأوربية فهو مسيحي لأنه في أسرة ودولة مسيحية والبعض الآخر أسلم لأنه عرف الحق وشرح الله صدره للإسلام.

ولتوضيح هذه الأصناف يمكن أن نوجز القول فيهم كما يلي:

## أولا : الناقدون

(١) الناقدون الذين استمروا :

كثير جدا الذين نقدها المسيحية الرابعة أو المسيحية الأوربية ومن أبرز الذين نقدها وانخلعوا من ربقتها . وظلوا موصوفين بها الباحث العلامة ( يوليوس فلهوزن ) المولود في مدينة ( هاملن ) على نهر الفايزر في ١٧ مايو ١٨٤٤ م وقد درس اللاهوت وبدأ حياته الأكاديمية عام ١٨٧٠ م كدرس لتاريخ العهد القديم ، وفي سنة ١٨٧٢ م صار استاذا لعلم اللاهوت في جامعة ( جراى فسفالد ) وبعد عشر سنوات من عمله كأستاذ لعلم اللاهوت استقال عام ١٨٨٢ م فقد تبين له في أثناء دراسته وتدرسه لعلم اللاهوت أنه لا يستطيع فيما بينه وبين ضميره أن يظل متمسكا بفكرة أن الكتاب المقدس وحى إلهي . . . . . وحول نفسه إلى عمل آخر بعيد عن الأديان ، واشتغل باللغات الشرقية في مدينة هاله ثم انتقل عام ١٨٨٥ م إلى جامعة ( ماربورج ) ثم انتقل إلى جامعة ( جوتينجن ) . . . . . وتوفي عام ١٩١٨ م .



يقول الكاتبون وشهرة فلهوزن ترجع إلى دراسته النقدية في ميدان العهد القديم وتاريخه ، وأنه كان مفكرا متحررا يعتد بالعقل ، ويعنى بدراسته النقدية ، وكان يتبع منهج النقد العلمى فوجد أن العهد القديم تنقصه الوحدة والانسجام سواء من حيث الأسلوب والعبارة أو من حيث الفكرة فإنه لا يمكن أن تكون نسبتة إلى ما ينسب إليهم صحيحة بمعنى أنه ليس وحيا إلهيا أصيلا بل كتبه الناس وبهذا وصل فلهوزن إلى فتح الطريق أمام الدراسات النقدية للكاتب المقدس (١) .

لكن فلهوزن يظل مسيحيا مع مراعاة نقده لدين أوربي الذي صنعوه لأنفسهم ولم يأتهم . حوارى ولا رسول .

ومثل هذا فى الشرق العربى الأستاذ نظمى لوقا الذى أحدث ضجة بكتابه : محمد الرسالة والرسول ليدين أموال المسلمين لينفقهم هو فى سبيل خدمة دينه الذى ما زال باقيا عليه .

وكان على هذا المستوى كذلك أدباء أوربا وفى مقدمتهم :

— فولتير .

---

(١) مقدمة كتاب تاريخ الدولة العربية، يوليوس فلهوزن ترجمة الدكتور محمد عبد

- ورسو .

فقد حملوا حملة شعواء على رجال الدين المسيحي ثم تخطوا بمحملتهم رجال الكنيسة إلى الكنيسة ذاتها وإلى المسيحية نفسها فأخذوا يقروضون ويهدمون ويخربون المسيحية بمعاول من الفولاذ<sup>(١)</sup>.

### (ب) الناقدون الذين أسلموا :

وفي مقدمة الناقدین الذين أسلموا ( اللورد هيدلى ) الذى أنار بإسلامه ضجة كبرى فى أوربا لمركزه الاجتماعى والسياسى الكبير يقول : عندما كنت أقضى الزمن الطويل من حياتى الأولى فى جو المسيحية كنت أشعر دائما أن الدين الإسلامى به الحسن والسهولة ، وأنه خلو من عقائد الرومان والبروتستانت ، وثبتنى فى هذا الاعتقاد ، زيارتى للشرق التى أعقبت ذلك ودراستى للقرآن المجيد .

ومثل ( اللورد هيدلى ) مسيو ( أتين دينيه ) فى فرنسا ، والقس المصرى إبراهيم خليل ، والشيخ محمد زكى الدين الطهطاوى ، والقسيس الأندونيسى أنطيوخس موقار والعلامة المحامى .

وعلى هذا الدرب كذلك أسلم الصحفي المشهور رينيه جينوا

(١) أوربا والإسلام لفضيلة الإمام الأكبر دكتور عبد الحلیم محمود ص ٣١ ذ

الذي أسلم وسمى نفسه ( الشيخ عبد الواحد يحيى ) وكتب عن الشرق الغربي كتابا رائعا يجعل كل مسلم شرقي يفخر بشرقية وإسلامه وعروبته فقد وضع في هذا الكتاب [ الشرق والغرب ] الأصلة الحضارية والسمو التفكيكي للمسلم الشرقي ... كما وضع امتيازات الحضارة الإسلامية وأثرها في الحضارة الأوروبية المعاصرة وأثبتت أن العقيدة الإسلامية هي العقيدة الوحيدة الصالحة لكل زمان ولكل مكان .

ومن نفس الطراز الذي نقد المسيحية الرابعة الأوروبية الصناعات الكتاب الصحفي النمساوي ( ليو بلدافاس ) صاحب كتاب : الإسلام على مفترق الطرق دافع فيه عن السنة الإسلامية كمصدر معصوم للتشريع الإسلامي وكتب كتابا رائعا عن سبب إسلامه أسماه : الطريق إلى مكة ومن حديثه المقارن عن الإسلام قوله :

ومن بين سائر الأديان نجد الإسلام وحده يتيح للإنسان أن يتمتع بحياته الدنيا إلى أقصى حد من غير أن يضيع اتجاهه الروحي دقيقة واحدة وهذا يختلف كثيرا من وجهة النظر

نصرانية ، أن الانسان - حسب العقيدة النصرانية - يتعثر في الخطيئة  
لوروثة التي ارتكبها آدم وحواء ، وعلى هذا تعتبر الحياة كلها واديا  
ظلمة للأحزان (٢) .

\* \* \*

هذا النوعان من علماء أوربا الذين تقدوا منهم من آمن وحسن  
سلامه مثل :

مسيو أيتين دينيه الذى سمي ناصر الدين ، ومسيو ريليه جينو  
ذى سمي نفسه : عبد الواحد يحيى ، والصحفى النمساوى ليو  
دفاىس الذى سمي نفسه محمد أسد أولئك الذين أنعم الله عليهم  
رح صدرهم للإسلام ومعهم من مصر الأستاذ ابراهيم خليل حمد  
الأستاذ محمد مجدى مرجان والمرحوم الشيخ محمد زكى الدين  
طهطاوى وغيرهم فى الخفاء كثير شبانا وقساوسة عرفوا الحق فآمنوا  
ولسكنهم يخافون إعلانه .

يقول اللورد هيدلي :

إنني أعتقد أن هناك آلافا من الرجال والنساء أيضا  
مسلمون قلبا ، ولكن خوف الانتقاد والرغبة في الابتعاد عن  
التعب الناشئ عن التغيير تآمروا على منعهم إجتهااد  
معتقداتهم، (١) .

---

(١) أوروبا والإسلام ص ٥٢ .

## ثانيا : المحللون علميا

سجل التاريخ في صورة واضحة مآسى محاكم التفتيش ،  
ما كانت تقوم به من : إحراق بالنار .

ورمى في الزيت المغلي

وإخراج الأظافر

وتقطيع لأجزاء الجسم قطعة قطعة .

وسجل الأثر الأخلاقي الذي غمر الإنسانية في أوربا من جراء  
مذه المحاكم ، فقد عم الرياء والنفاق خروفا على الأموال والأرواح ،  
وانتشر الكذب والمداهنة بصورة لامثيل لها ووقر في أذهان الناس  
أن العدالة خرافة من الخرافات ، وأسطورة من الأساطير ذلك أن  
شعاع محاكم التفتيش كان : سماع الاتهام وعدم الإصغاء إلى الدفاع .

وحدثنا التاريخ أن نفوذ محاكم التفتيش تخطى أوربا وعبر  
البحر وتغلغل مع الفاتحين الأسبان في ربوع أمريكا لأول عهدا  
بالغزو وكانت الفضائع التي ارتكبت هناك سواء من الفاتحين أو من  
رجال الدين ضرر الهنود الجر لا تعد ولا تحصى .

وقد صور ذلك كله في قصة خالدة سميت فارس قشتالة  
وخرجت القصة فيلما سينمائيا صور مدى العلاقة الوطيدة بين  
التنكييل بالإنسانية والمسيحية الرابعة مسيحية محاكم التفيتش ورجال  
الأكلروس .

كما سجل التاريخ ذلك الصراع الدامى بين رجال الأكلروس  
ورجال العلم التجريبي بل والنظري فى أوربا . . وما مأساة جاليليو  
وأصدقائه بسر مستور . . .

فلما كانت النهضة وهى ثمرة اعتداء آثم على الشرق العربى  
المسلم تنفس الأوربيون الصعداء لأنهم تحرروا من السيطرة المسيحية  
على عقولهم وحرىاتهم وأجسامهم تحرروا ملوكا ، وتحرروا أفرادا  
وفقدت الكنيسة البابوية بيده النهضة كثيرا من غمارستها التى أذات  
أوربا أحقا با من الزمن .

وكان المفروض فى عصر النهضة أن تركل أوربا هذا الدين  
الذى أذلها وأخرها وأساء إلى شرفها وسمعتها . . ولكنها راحت تحل  
الدين وتفحص مصادره وتحقق وقائمه ، وتعمل أسراره وكان ذلك  
باسم الإصلاح مرة ثالثة . . . ولم يكذبطلع القرن التاسع عشر حتى كان . . .  
بجال النقد قد اتسع وزاد الخزق على الكنيسة يلم تعرف كيف تسترد

سلطانها ولا تقاوم زحف فكر علماء أوروبا حتى كان القرن العشرين فتطورت الدراسة ولم تكن الأبحاث التجريبية التي قامت بها الكليات العملية إلا وسيلة ليفضح العلماء زيف المسيحية الرابعة : المسيحية التي صنعتها أوروبا في مجامعها ، وكانت الحصيللة الممتازة التي قدمها للعلم وللحق وللعقل المنصف جماعة من العلماء الذين مازالوا مسيحيين تذكروهم

( ا ) شارل جني بير .

رئيس قسم تاريخ الأديان في جامعة باريس

( ب ) موريس بوى

( ح ) مجموعة من علماء أوروبا :

- فردريك جرانب

- جنتر كوفسكى

- رينيس إربك

- جون فتنون

- جورج برد فورد كيرد

- تشارلز هارولد

- أدولف هرnk

- ما كينون ... الخ .



## أولا: مسيو شارل جني بير

يقول :

### (1) في شأن الأناجيل :

تصفح الأناجيل وحده يكفي لإقناعنا بأن مؤلفيها قد توصلوا إلى تركيبات واضحة تتعارض لنفس الأحداث والأحداث مما يتحتم معه القول بأنهم لم يلتزموا الحقيقة الواقعية ، ولم يستلموا تاريخا ثابتا يفرض تسلسل حوادثه عليهم ، بل على العكس من ذلك : اتبع كل هواء ، وخطته الخاصة في تنسيق وترتيب مؤلفه .

ولاشك أيضا في أنه لم يعتمد أحد منهم على سلسلة كاملة مترابطة من الوقائع تسمح له بأن يضع صورة واضحة لحياة المسيح : فلم يكن عملهم أذى سوى أن يربطوا - في كثير أو قليل من المهارة - بين أطراف من المروبات ، وأن يشكّلوا منها سيرة افتقرت إلى الوحدة الحقيقية ، كما أن عناصرها تبدو مجموعة في إطار مصطنع .

وإننا لنلاحظ في ثنايا هذه السيرة الإنجيلية نقصا كثيرا وفجوات خطيرة ، نلاحظها حتى في إنجيل مرقس الذي بلغ به الحرص أن تحاشي

الحديث عن مولد عيسى وطفولته (١) .

(ب) في شأن عيسى ودعوته :

و خلاصة القول القول : أن عيسى بدعوته إنما كان يجد تلك السلسلة من أنبياء بني إسرائيل التي انقطعت بعد العودة من المنفى ، والتي حاول أن يصل حلقاتها - من قبله - أنبياء آخرون منهم المعمدان فقيامه بالدعوى - مهما بدا أول الأمر أصيلا مبتكرا - ليس في الواقع ظاهرة استثنائية أو غريبة من ناحية الشكل (٢)

وهل ظن عيسى أنه هو نفسه المسيح المنتظر ؟ لقد شك الناس في ذلك وما زالوا يشكون مستندين إلى أدلة قوية فهو بصف نفسه فقط بأنه المسيح وهي كلمة تعادل كلمة كريستوس باليونانية والبحث الدقيق في أصل النصوص الإنجيلية التي تظهر فيها هذه الكلمة يؤكد أنها لا تلتزم بصلة إلى المنبعين الأساسيين وهما :

مجموعة الحكم المسماة باللوجيا ، ثم الإنجيل الأول وهو إنجيل مرقس .

---

(١) المسيحية نشأتها وتطورها ص ٢٨/٢٩ للمسيو ايتين دينيه نقد للانجيل ذكره في كتابه أشعة خاصة بنور الاسلام .  
(٢) المسيحية نشأتها وتطورها ص ٣٧ .

وأكثر النصوص صراحة في نسبة صفة المسيح إلى عيسى هي أقلها صموداً أمام النقد ، ونضرب لذلك مثلاً بالتصريح المعروف الذي يروى أنه أدلى به أمام السكاهن قيافا (مرقص ١٤/١٦) وهو نص لا يعتمد على سند ما ، ويغلب على الظن أنه لا يتجاوب مع واقع التاريخ (١) .

والنتيجة الأكيدة لدراسات الباحثين هي :

أن عيسى لم يدع قط أنه هو المسيح المنتظر ، ولم يقل عن نفسه أنه ( ابن الله ) ، وذلك تعبير لم يكن في الواقع ليمثل - بالنسبة إلى اليهود سوى خطأ فاحش ، وضرب من ضروب السفه في الدين كذلك لا يسمح لنا أى نص من نصوص الأناجيل باطلاق تعبير ( ابن الله ) على عيسى فتلك لغة لم يبدأ في استخدامها سوى المسيحيين الذين تأثروا بالثقافة اليونانية لأنها لغة استخدمها القديس بولس كما استخدمها مؤلف الانجيل الرابع (٢) .

➤ - في الحوارين ورسالتهم :

كان أصحاب عيسى وأتباعه الذين اطمأنوا إلى قوة إيمان

(١) المسيحية نشأتها وتطورها ص ٣٨/٣٩ .

(٢) " " " " ص ٢٩ .

القديس بطرس فتجمعوا - بعد فترة الرعب الأولى - ليحاولوا إعادة بناء الحلم الضائع واسترجاع الآمال التي غرسها استاذهم في القلوب ، كانوا يهودا سذج بسطاء ليس لهم شأن في قريتهم ولا يمتازون بشقافة كبيرة ، وعلمنا أن لانفس ذلك .

فأفاقهم الفكرية لم تكن بأوسع أو أبعد حدردا من أفق عيسى ، وافترطهم على الرغبة في دفع خراف بني إسرائيل نحو طريق النجاة ، وجميع الدلائل تحملنا على الاعتقاد بأنهم كانوا شديدي التعصب لبني جلدتهم من اليهود - على الأقل في بدء الدعوة - وفاقوا في ذلك عيسى نفسه ، وكانت فكرة تبشير الوثنيين بعيدة كل البعد عن عقولهم ، بل الواقع أنه كان من ضروب المستحيل أن يتصوروا إمكان انتشار الإنجيل بين رجال لم يؤمنوا بالعتيدة اليهودية قبل ذلك (١) .

ويتحدث سسيو جنى بير عن إخفاقهم في الدعوة فيقول :

والحق يقال إن الاثنى عشر لم يلاقوا في القدس من النجاح سوى القدر اليسير الذي كان يمكن لأي رجل منصف أن يتوقعه :

(١) المسيحية نشأتها وتطورها ص ٥٦/٥٥ .

لقد كسبوا تأييد بضع عشرات من الناس مثلها هو الحال بالنسبة إلى كل فرقة دينية جديدة (١).

بل إن مسيو جنى بير لا يستطيع أن يؤكد أن الحوار بين كانت لهم سلطة ما فيما يتعلق بالتبشير وحمل الدعوة يقول :

وإذا ما قلنا بأن المسيح صرح للحواريين الأثنى عشر بسلطه ما - وهذا محل جدل حتى اليوم - فما لاشك فيه أن الأمر لم يتعد منحهم بعض ما أوتى هو من سلطان في التبشير بالتوبة وبحلول مملكة الله ، ولم يصنع منهم قساوسة حيث لم يكن في حاجة إلى ذلك (٢).

### (د) تحديد دعوة الحواريين :

وتحدد رسالة الحواريين تلك التي لم يمنحهم عيسى فيها عددا ولم ينجحوا فيها كذلك بما توصل إليه مسيو جنى بير يقول :

... كانت فكرة قرب حلول مملكة الله الفكرة الأساسية في

(١) المسيحية ص ٥٣ ، ٦٥ ، ٦٦ .

(٢) « ص ١٣٠ .

دعوة عيسى ، أما دعوة الحواريين فقد تحولت إلى فكرة مركزية هي  
أن عيسى هو المسيح الموعود ، وإلى قرب عودته لهذه الدنيا .

وهذان هما الموضوعان اللذان توضح لنا بمجموعه أعمال الرسل ،  
أن الآتى عشر من الأصحاب سوف يعودون بهما إلى القدس لشرحهما  
وتنمية أسرارهما .

ولا مناص لنا من الاعتراف بأن هؤلاء الأصحاب كانوا  
يتميزون بخيال دافق يزيد عن الحد إذ أن المنطق وواقع الأحوال  
كانا ينبئان في صراحة بأنهم ان يلاقوا من النجاح أكثر مما لاقاه  
أستاذهم وبأنهم لا بد سائرون إلى مثل ماسار إليم من مصير محتوم<sup>(١)</sup>  
ويقول في تمة هذا الموضوع :

واعلمنا نستطيع القول بأن بطرس ويعقوب الأكبر ،  
ويعقوب الأصغر وأيضا - في غالب الأمر - حنا ماتوا قبل<sup>(٢)</sup> .

( هـ ) ويقول في شأن الصليب :

ومر المرجح كذلك أن الأحداث الخاصة بالصليب كانت قد

(١) المسيحية ص ٦٥

(٢) » » ٦٦

فتمتد الكثير من وضوحها في ذاكرة المؤمنين قبل تحرير الأناجيل  
وأنها تأثرت في مخيلتهم بالأساطير المختلفة الشائعة في الشرق ثم لأنها  
فسرت تفسيرات غيرت وجدت في جوارب كثيرة أساسية منها<sup>(١)</sup>

### (و) قيامة عيسى من القبر:

ويتحدث مسيو جنى بير عن قيامة عيسى من قبره بعد ثلاثة  
أيام فيقول:

... تلاقى هؤلاء الحواريون بالجليل بين أحضان ذلك الأقليم  
الذي يعرفونه، والذي عاشوا فيه مع أستاذهم، وظنوا أنهم رأوه هناك  
ثم أيقنوا أنه بعث من بين الأموات .

تلك هي الوقائع ، أما تفاصيلها فليس لدينا بها علم ولم يكن للأساطير  
يدمن أن تحاول تفسير الوقائع ، فصنعت منها نسيجا بالغ التعقيد  
والغموض اختلط فيه العجب العجيب من الأحداث الخيالية المستحيلة  
وتعذر بعد ذلك استخلاص الحقيقة منه لتضارب النصوص وتباين  
رواياتها وأن روايات الأناجيل التي وصلت إلينا ، والتي تتعلق ببعث  
عيسى لتبدو للدرّخ الناقد نوعا من الإنشاءات التي لا تتسجم عناصرها

---

(١) المسيحية ص ٢٩ .

بنيت على ذكريات مبهمه وتفصيل متعارضة ، ثم على حكايات  
مبهمه من تلك التي تعود عليها العالم الشرقي ، ولكن ماهو أساس هذه  
سأله ؟ إذن لا بد وأن يكون هناك شيء بالذات قد أثار الحديث  
فيها ؟ .

أساسها فيما يبدو على أرجح الاحتمالات رؤيا رآها بطرس  
بها رؤى جماعية .

وتلك أمثلة ظاهرة لها أمثلة أخرى في تاريخ الأديان (١)

ويقول شارل جنى بير كذلك :

أيقولون إنه بعث؟ ولكن من هم الشهود على ذلك . إنهم هم  
لاتباع فحسب؟ فما أضعفه من برهان (٢) .

وبلته مسيو شارل جنى بير إلى حقيقة هي :

بدون بولس كان من المحتمل أن لا توجد المسيحية (٣) .

---

(١) يلتقى شارل جنى بير مع آرثر فنلاوى فى هذا الاستنتاج راجع كتاب  
مغرة الحق ص ٤٥ وكتاب محمد فى التوراة والانجيل ص ٤٦ شارل جنى بير ص ٤٩ .

(٢) المسيحية ص ٥٣ .

(٣) المرجع السابق ص ١١١ .



## ثانياً : مسيو موريس بوكاي

يتساءل موريس بوكاي عن القيمة الصحيحة للنصوص التي في حوزة بلاده اليوم ، ويرى أن هذا يعني بالضرورة دراسة الظروف التي سادت تحرير تلك النصوص ، وانتقالها إليهم ، ويقول :

« إن معالجة الكتب المقدسة من خلال علم الدراسة النقدية للنصوص شيء قريب العهد في بلادنا ، فقد ظل الناس يقبلون العهد القديم ، والجديد ، على ما هما عليه طيلة قرون عديدة ، ولم تكن قرارة الكتب المقدسة تؤدي إلا إلى اعتبارات مدحية .

وكان مجرد التعبير عن أي روح نقدية إزاء الكتاب المقدس خطيئة لا تغفر ، وكان المساواة في الصفوة التي تستطيع بغير عنا المعرفة عن الكتاب المقدس ، أما عامة العلمانيين فلم تكن تتلاقى إلا نصوصاً مختارة خلال الطقوس الدينية أو عبر المواعظ .

وبعد أن أصبح نقد النصوص علماً فقد كان له الفضل في أن جعلنا نكتشف مشاكل مطروحة وخطيرة في أحيان كثيرة غير أنه لا بد من أن نصاب بخيبة أمل عندما نقرأ كتباً كثيرة تدعي أنها نقدية ولكننا

لا تقدم في مواجهة الكثير من مشكلات التأويل الحقيقية إلا تفسيرات مديحية تهدف إلى ستر جرح المؤلف وحيروته .

وإننا لنأسف حقاً لذلك الموقف الذي يهدف إلى تهمير الاحتفاظ في نصوص التوراة والإنجيل ببعض المقاطع الباطلة خلافاً لكل منطق .

إن ذلك موقف يسمى كثيراً إلى الإيمان بالله لدى بعض العقول المشكفة ، ومع ذلك فقد أثبتت التجربة أنه إذا كان بعضهم قادراً على فضح بعض مواطن الضعف من هذا النوع فإن الغالبية من المسيحيين لم تدرك حتى الآن وجود هذا الضعف ، وظلت في جهالة تامة من أمر ذلك التناقض مع المعارف الدنيوية المشهورة التي تعتبر غالباً من المعارف الأساسية (١) .

ولقد كانت متابلة نصوص الكتب المقدسة بحقائق العلوم موضوع تمكبر الإنسان في كل العصور ، فتمى البدء قيل إن إتفاق العلم والكتب المقدسة أمر لازم لصحة النص المقدس ، وإن القديس

---

(١) دوائر المعارف البريطانية ، والفرنسية عرضت نماذج لفساد الأناجيل وركزوا على عدم صحتها ، ولاشك أن هذه العوائق يطلع عليها شباب أوروبا ، ولاشك أن هذا الشباب يدعى طلب العلم ، ولاشك أن المسيحية دين شرقي ، ومع هذا فلم نجد من هذا الشباب تفتح ذهني لمناقشة ما جاء في دوائر المعارف الأوروبية ، وعلّة ذلك إنما هو التعصب القومي ، والتزعم الفكري الرديء .

أوغطسين قد حدد هذا المبدأ بشكل حاسم ، ولكن التطور العلمي كشف للمفكرين عن وجود نقاط إختلاف بين الاثنين ، وبهذه الطريقة ، خالق ذلك الوضع الخطير الذي جعل اليوم مفسري التوراة والإنجيل يناصبون العلماء العداء ، إذ لا يمكن في الحقيقة أن نقبل بأن رسالة إلهية منزلة تنص على واقع غير صحيح بالمرة .

وبناء على ذلك فليس هناك سوى إمكانية واحدة للتوفيق المعقول بين الأمرين ، وهي : عدم قبول صحة المقطع الذي يقول في التوراة بأمر غير مقبول علمياً .

ولم يكن هذا الحل طواعية . بل بالعكس فقد تعصب بعضهم بشدة للاحتفاظ بتمام النص ، وقد كان نتيجة هذا أن اضطر المفسرون إزاء صحة الكتب المقدسة إلى إتخاذ موقف لا يمكن قبولها من قبل رجل العلم . (١)

وبنفس الموضوعية قت بنفس الفحص على العهد القديم ،  
والإنجيل :

---

(٢) تحب أن تؤكد من جديدة أن قضية النزاع بين الدين والعلم قضية أوروبية المسيحية الديانة . راجع كتابنا « الهة في الأسواق » ص ٤٣/٤٢ .

\* أما بالنسبة للعهد القديم فلم تكن هناك حاجة للذهاب إلى أبعد من الكتاب الأول : أي : سفر التكوين ، فقد وجدت مقولات لا يمكن التوفيق بينها وبين أكثر معطيات العلم رسوخاً في عصرنا .  
\* وأما بالنسبة للأناجيل فما تكاد تفتح الصفحة الأولى منها حتى نجد أنفسنا دفعة واحدة في مواجهة مشكلة خطيرة ، ونعني بها : شجرة أنساب المسيح وذلك أن نص إنجيل متى يناقض بشكل جلي لإنجيل لوقا وأن هذا الأخير يقدم لنا صراحة أمراً لا يتفق مع المعارف الحديثة وخاصة بقدوم الإنسان على الأرض<sup>(١)</sup> .

ثم يقدم مسيو بوكاي عرضاً نقدياً تحليلياً للأناجيل من حيث اضطراب نصوصها ، وفساد عدة موضوعات علمية لا يقبلها العقل على ما هي عليه ، ولا بعد أن تؤول لشدة مجافاتها للواقع . . . بعد هذا يعرض مسيو بوكاي عدة قضايا منها :

(١) غياب رواية تأسيس القربان المقدس من إنجيل يوحنا لأنها عنده من أهم ما يلتفت نظر قارئ إنجيل يوحنا ، فإنه لا يشير إلى تأسيس القربان المقدس في أثناء عشاء المسيح مع الحواريين بينما تتحدث الأناجيل الثلاثة عن تقديس الخبز والخمر اللذين يصبحان جسد ودم المسيح . أما يوحنا فهو لا يقول عن ذلك كلمة واحدة .

(١) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص ١٣/٨ .

إن دراسة هذه المشكلة تخرج المفسرين إلى درجة أن علماء اللاهوت يجتالون في البحث عن صورة أولية أو معادلات للقربان المقدس في أحداث حياة المسيح التي يسردها يوحنا...

وستظل هذه ثغرة في إنجيل يوحنا مع ما انفرد به من سرد غسل المسيح لأقدام تلاميذه في بداية العشاء (١).

(ب) ظهور المسيح بعد قيامته :

بعطينا الأب روجي أمثلة على الاختلاف والفوضى والتناقض التي تسود روايات موت عيسى وقيامته فيقول :

لا تتطابق تماما في الأناجيل الثلاثة المتوافقة قائمة النساء الآتين إلى القبر ، فليس هناك إلا امرأة واحدة في إنجيل يوحنا وهي : مريم المجدالية ولكنها تتحدث بضمير الجماعة كما لو كانت لها رفيقات فهي تقول : « لا نعرف أين وصفوه » .

أما في إنجيل متى فملاك هو الذي يعلن للنساء أنهم سميرين المسيح بالجليل ، ولكن المسيح بعد لحظة يقابلهن على مقربة من القبر .

(١) بتصرف عن كتاب دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص ١١٨/١٢١ .

ولا شك أن لوقا قد شعر بهذه الصعوبة فعدل قليلا في مصدره  
الملاك : تذكرون كيف تحدث إليكم عندما كان بالجليل ؟  
والواقع أن لوقا لا يشير إلا إلى ظهور المسيح ثلاث مرات بعد  
موته ، أما يوحنا فيقول : إنه ظهر مرتين على ثمانية أيام بجمع بيت  
فسدس ، ثم في المرة الثالثة يظهر بالقرب من البحيرة ، وأما متى فإنه  
حدث عن مرة واحدة اظهور المسيح بالجليل . ويستبعد الباحث  
هذه الدراسة خاتمة إنجيل مرقس التي تتحدث عن ظهور المسيح  
باعتقاد أنها قد كتبت بقلم آخر .

وكل هذه الأمور تتناقض مع الإشارات إلى ظهور المسيح  
تواترة في رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ١٥ ، ٥ - ٧  
يقول :

إنه قد ظهر لأكثر من خمسمائة شخص في وقت واحد يقول  
كأى :

وإنه لما يشير الدهشة بعد ذلك أن يندد الأب روجي في نفس  
الكتاب بالخوارق الطنانية والطفولية في بعض الأناجيل المزورة  
يتعلق بقيامة المسيح (١)

( ج ) صعود المسيح :

وتمتد المتناقضات حتى نهاية الروايات ، لأنه ليس يوحنا ولا متى يشيران إلى صعود المسيح .

فَرِص ولوقا يتحدثان عن صعوده :

بالنسبة لمرقص يقول : قد رفع إلى السماء وجلس على يمين الله وهذا دون تحديد تاريخي بالنسبة لقيامته ، غاية الأمر أن نهاية إنجيل مرقس التي تحتوى على هذه الجملة ليست نصاً صحيحاً .

وقد سبق أن ذكر المؤلف : أن المعلق يستبعد من هذه الدراسة الخاصة بإنجيل مرقس خاتمة الإنجيل المنسوب إليه كل ما يتعلق بظهور المسيح لأنه يعتقد أنها قد كتبت بقلم آخر ، فهي إذن ليست نصاً صحيحاً ، وهي نص أضيف كما يذهب إلى ذلك الأب روجي حتى وإن كانت الكنيسة تعتبره قانوناً .

وبالنسبة للوقا فهو الوحيد الذى يذكر حدث الصعود وذلك فى نص لا يناقشه أحد يقول : انفصل المسيح عنهم وحمل إلى السماء ثم يضع لوقا الحدث فى نهاية رواية قيامة المسيح وظهوره للأحد عشر حوارياً ، وتتضمن تفاصيل الرواية الإنجيلية أن الصعود قد حدث

يوم القيامة ، ولكن لوقا يصف في أعمال الرسل مرات ظهور المسيح  
للحواريين بالألفاظ التالية :

وقد حصلوا منه على أكثر من آية على حين أظهر نفسه لهم  
وحدثهم طيلة أربعين يوماً عن ملكوت الله [ ١ ، ٢ ، ٣ ] .

إن هذه الفقرة من أعمال الرسل هي الأصل في تحديد العيد  
المسيحي للصعود بأربعين يوماً بعد الفصح ، فالتاريخ إذن محدد عكسي  
إنجيل لوقا . فظاهر التعارض بين أعمال الرسل هي التي يعتقد الكل أن  
لوقا هو الذي كتبها وبين الإنجيل الذي نسب إلى لوقا، ويضاف إلى هذا  
أنه ليس هناك نص إنجيلي آخر يبرر هذا التحديد التاريخي .  
يقول بوكاي :

إن المسيحي وقتئذ عرف بهذا الموقف يشعر بالحيرة فالتناقض  
واضح ، ومع ذلك فالترجمة المسكونية للعهد الجديد تعترف بهذا  
الواقع ولكنها لا تفيض في الحديث عن التناقض بل هي تكتمني  
بالإشارة إلى احتمال أهمية هذه الأربعين يوماً بالنسبة لرسالة  
المسيح .

والمعلقين الذين يريدون شرح كل شيء بالتوفيق بين ما لا يقبل  
التوفيق يعطوننا في هذا الشأن تفسيرات شاذة . (١)

(١) دراسة الكتب المقدسة ص ١٢٣/١٢٤ .



(د) خاتمة الرأى عند بوكاى :

لقد أوضحت دراسات نقد النصوص الحديثة المعطيات التي تكون ثورة في مناهج التفسير ، والتي تؤدي إلى عدم الأخذ بجرافية الأمور الواردة بشأن المسيح في الأناجيل ، فهذه كتابات خرافية أو خصامية .

إن المعارف الحديثة وقد ألفت النور على تاريخ اليهودية المسيحية والتنافس بين الطوائف ، توضح وجود أمور تحير قراءة عصرنا فلم يعد مفهوم المبشرين كشهود معانين قابلا للدفاع ، وأن ظل حتى يومنا هذا مفهوم كثير من المسيحيين .

إن مؤلفات مدرسة الكتاب المقدس بالقدس تثبت جيداً أن الأناجيل قد كتبت ونقحت وصححت أكثر من مرة ، ولهذا ينذر الكتابان : الأب كانينجس ، والأب بوامار ، قارىء الإنجيل بأن عليه أن يتخلى في أكثر من حالة عن سماع صوت المسيح المباشر .

إن الطابع التاريخي للأناجيل لا يسمح بأى جدل ، لسكن هذه الوثائق تعلمنا قبل كل شيء ، وعبر الروايات الخاصة بالمسيح بعقلية الكتاب المتحدئين باسم الطوائف المسيحية الأولى التي كانوا ينتمون

إليها ، وتعرفنا بوجه خاص بالخصومات بين اليهود والمسيحيين وبين  
بواس وإلى هذا يذهب أيضاً الكاردينال دانيلو يقول :

كيف ندهش إذن لتشويبه المبشرين لبعض أحداث حياة المسيح  
لأن هؤلاء كانوا يهدفون إلى الدفاع عن وجهات نظر شخصية؟ كيف  
ندهش لحذف بعض الأحداث؟ كيف ندهش للطابع الروائي في بعض  
الأحداث الأخرى. (١)

حقاً كيف ندهش : وهي معركة خصومة ومشاغبات ...

---

(١) دراسة الكتب المقدسة ص ١٣٠/١٣١ .

## ثالثا قضايا المسيحية

ومجموعة علماء أوروبا الباحثين

(١) الأناجيل :

فردريك جرانت من علماء معهد اللاهوت الاتحادي بديويورك  
ويقوم بأعباء الدراسات اللاهوتية كأستاذ لهذه المادة  
أجرى دراسات عن الأناجيل من حيث: أصلها وتطورها ،  
وملخص ما ذهب إليه :

إن المسيحيين الأوائل لم يكونوا يعتقدون أن كتبهم المقدسة تكون  
عهدا جديدا يتميز عن العهد القديم ، فقد كان العهدان شيئا  
واحدا متصلا .

لقد كان الناموس والأنبياء والمزامير — كما يذكر لوقا ٢٤ : ٤٤  
كتبا مألوفة لكل اليهود بما فهم اليهود المسيحيين في فلسطين  
وغيرها ، كما كانت مألوفة لكل المنتصرين الذين كانوا على صلة  
بالمعابد اليهودية .

وعندما ظهرت أولى الكتابات المسيحية وفي مقدمتها رسائل بولس التي كانت تقرأ أسبوعيا في المعابد اليهودية والكنائس المسيحية .  
وعندما ننظر في العهد الجديد فإننا لا نتوقع أن نجد عقيدة محددة وثابتة ، أو تفصيلا كاملا لتنظيم الكنيسة بل العكس من ذلك تماما ، فإننا نتوقع - وهذا ما نجده فعلا - اقتراحات لم يعمل بها أبدا ، وحلول تجريبية قصد التغاض عنها في مستقبل تطور الكنيسة .

إن العهد الجديد كتاب غير متجانس ، ذلك أنه شتات مجمع فهو لا يمثل وجهة نظر واحدة تسوده من أوله إلى آخره ، ولكنه في الواقع يمثل وجهات نظر مختلفة وإن الإنسان ليستطيع أن يتبع بدقة ملحوظة الاتجاهات المختلفة التي سار فيها التفكير المسيحي كما يتبع - إلى حد ما - التوسع الجغرافي والعددي للكنيسة ، وكذلك مراحل التطور الأولى لعقيدة الكنيسة وأخلاقيتها وعباداتها وتنطحاتها<sup>(١)</sup> .  
وهذا هو الرأي الذي ذكره المؤرخ الفرنسي شارل جني بير إذ يقول :

(١) الأناجيل : أصلها وتطورها من ١٧/١٢ نقلا عن ترجمة المهندس أسد عبد الوهاب وقد ذكر الامام الفاضل تقي الدين صالح في كتابه : تحجيل من حرف الانجيل ان إنجيل حتى ٦٨ لصحفا ومرقس ٤٨ ؛ ولوقا ٨٢ ويوحنا ٣٣ على نحوها حققه الدكتور عدنان حساين في رسالة للدكتوراه من قرنا حول تحقيق هذا الكتاب وهو مخطوطه محققه أهدي منها نسخة الأخ الدكتور عبد الفتاح بركة .

إن عيسى لم يكن كنيسته ولا الحواريين وإنما هي من عمل بواس  
الرسول ، كما أنه يعتبر الأناجيل تولىفات غامضة لم يسعفها الحظ  
لتعطى صورة واضحة عن حياة المسيح وأنها ضعيفة السند ولا تقوى  
على النقد العلمى النزيه .

ومع هذين العالمين يتفق مسيو<sup>١</sup> البتين<sup>٢</sup> دليله الذى يقول :

.. لهذا جعلوا مكانه تولىفات أربعا مشكوكا فى صحتها وفى  
نسبتها التاريخية ، كما أنه مكتوب باللغة اليونانية وهى لغة لا تتفق  
طبيعتها مع لغة عيسى الأصلية التى هى لغة سامية .

لذلك كانت صلة السماء بهذه الأناجيل اليونانية أضعف بكثير من  
صلتها بتوراة اليهود (١) .

وجماعة كثيرة من هؤلاء النقاد والمحليلين تذهب فى نتائج دراساتها  
إلى هذا الرأى منهم العالم المسيحى جون فنتون عميد كلية اللاهوت  
بليتشفيلد بإنجلترا يقول :

لقد اعتقد [ متى ] أن العالم المعاصر للمسيح الذى يمتلىء بالخطيئة  
والمرض والموت سوف يأتى إلى نهايته سريعا وأن يسوع سوف

(١) راجع كتاب أشعة خاصة بنور الاسلام ترجمة الاستاذ راشد رسم .

يأتي بمجد، وأن كل إنسان سيكون إما من المباركين أو من الملعونين  
[ ٢٥ : ٣١ ]

ولقد اعتقد [ متى ] أن هذا سوف يحدث سريعاً قبل أن يكون  
رسل المسيح قد اكملوا التبشير في كل مدن إسرائيل [ ١٠ : ٢٣ ]

وقيل أن يكون بعض معاصري يسوع قد ماثوا [ ١٦ : ٢٨ ]  
وقبل أن يفنى الجيل الذي عاصر المسيح [ ٢٤ : ٢٤ ] .

ومن الواضح أن هذا كله لم يحدث كما توقعه متى، ورغم أن إنجيل  
متى هو أحد كتب العهد الجديد الذي ذكر بوضوح حدوث النهاية  
السريرة للعالم ، فإننا في الواقع نجد أن أغلب كتاب العهد الجديد قد  
عبروا عن هذه العقيدة ، وفي اعتقاد كثير من العلماء أن يسوع نفسه  
كان يتطلع إلى عودته سريعاً إلى الأرض بعد وفاته في مجد وبهاء . .  
إننا لا نستطيع أن نأخذ أقوال متى عن نهاية العالم حرفياً ، فقد برهن  
التاريخ على خطئها .

### (ب) - الصلب :

تنقسم روايات الأناجيل عن أحداث الصلب إلى ستة عناصر  
تجرى مناقشتها تبعاً وهي :

- مقدمة الأحداث .
- العشاء الأخير .
- الليلة الأخيرة .
- المحاكمة .
- الصلب .
- الدفن .

● فيما يتعلق بمقدمة الأحداث فقد ذكرها مرقس في :

١٤ : ١ - ٨ وعن هذه الرواية يقول العالم : دينس إربك  
فيها : أستاذ اللاهوت بجامعة لندن ، ورئيس تحرير سلسلة بليكا  
لتفسير الإنجيل :

إن الفقرات الأولى غير مفهومة على الإطلاق ، ومن المحتمل  
أن ما قصده القديس مرقس بساطة هو القول بأن السلطات اليهودية ،  
وقد تحققت من أن أى محاولة للقبض على يسوع علنا قد تثير شغبا  
بين الجماهير المجتمعة في المعبد - فإنها قررت تجنب الإضطرابات ،  
وذلك بالقبض عليه سرا ، ولكنه إذا كان هذا هو المعنى المقصود  
فإن مرقس قد عبر عن ذلك بطريقة خاطئة جداً .

وعلى ذلك فقصه مسح جسد المسيح بالطيب التي أوردتها يوحنا مبكراً عما وصفه لوقا والتي أدخلها مرقس فإنها تبدو من القصص التي كانت تتداول دون تحديد لموقعها في فترة رسالة يسوع ، ولذا فإنهم يختلفون في مكان حدوثها : فعند مرقس حدثت في منزل سمعان الأبرص بقريّة بيت عنيا ، وعند يوحنا حدثت في بيت مريم ومريّا [ ١٢ : ١ - ٢ ]

ويستمر العالم دنيس في سرد النصوص المتضاربة ثم يقول :  
... مما سبق يتبين أن الأناجيل اختلفت تماماً في هذه القصة التي تتكلم عن جسد يسوع باعتبارها مقدمة لأحداث القبل والصلب ، وكما اختلفت الأناجيل في توقيتها ، فإنها اختلفت كذلك في عناصرها الرئيسية مثل :

- مكان الحادث .
- شخصية المرأة .
- رد الفعل عند المشاهدين<sup>(١)</sup> .

---

(١) تفسير انجيل مرقس دنيس لاريك ص ٣٧٠/٣٧١ راجع رأي ول ديبروات حول العشاء في قصة الحضارة > ١ ص ٢٣٥ .



• وأما العشاء الأخير فإن مرقس في الفقرة ١٦ من الاصحاح ١٤ يقول : نخرج تلميذاه ، وآتيا إلى المدينة ووجدنا كما قال لهما فأعدا الفصح ، •

وأغلب المفسرين يعتقدون أن هذه الفقرة إنما كانت في الواقع إضافة أدخلت فيما بعد إلى الرواية التي كان يتبعها القديس مرقس في هذا الجزء من إنجيله •

كما يختلف مرقس مع متى في قصة العشاء الأخير ، إذ يجعل التلاميذ جميعاً يشتركون في هذا الإعداد ، ولكن يوحنا يغير التوقيت الذي افق عليه كل من متى ومرقس ولوقا لأسباب عقائدية (١) .

والذي يترتب على هذا الخلاف في التوقيت أن الصلب يتغير زمنه ووقته •

فإذا أخذنا برواية مرقس ومتى ولوقا يكون يسوع قد أكمل الفصح مع تلاميذه مساء الخميس ثم كان القبض عليه بعد ذلك بقليل في مساء الخميس ذاته ، وبذلك يكون الصلب قد حدث يوم الجمعة •

---

(١) تفسير الإنجيل متى جوني ننتون ص ٤١٥ •

وأما إذا اخذنا برواية يوحنا فإنه يعني أن القبض كان مساء الأربعاء ، وأن الصلب حدث يوم الخميس .

وإذن فتى كان الصلب :

هل حدث الصلب يوم

الخميس أو يوم الجمعة ؟

● وأما عن الليلة الأخيرة فيقول مرقس :

ثم أخذ معه بطرس ويعقوب ، ويوحنا وابتدأ يدهش ويكتئب .  
قال لهم : نفسى حزينة جدا حتى الموت ... الخ [ ١٤ : ٣٢ - ٤٢ ] .

هذا الجزء يصف آخر مرة كان فيها يسوع مع تلاميذه إذ أنما قد أن نهاية الفقرة التالية من انجيل متى تقول :

حينئذ تركه التلاميذ كلهم وهربوا .

ولقد انقسمت الآراء بعنف حول القيمة التاريخية لهذا الجزء جرى تساؤل عما إذا كان يعتبر في الحقيقة جزءا من المصدر الذي روى عنه القديس مرقس .

فالبعض يشير إلى أن مثل هذا الوصف ربما يكون صادرا عن

بطرس ، ويؤكدون عدم احتمال قيام الكنيسة بإختراع مشهد  
كان بالتأكيد مدمرا للرسول ، وذلك خلافا لحالة الثبات ورباطة  
الجأش التي واجه بها الموت كثير من الشهداء المسيحيين .

ويؤكد آخرون أنه لم يكن في مقدور أحد أن يكون شاهدا  
لأغلب الحوادث المذكورة ، كما لم يكن في مقدوره أن يعلم ماهية  
الصلاة التي صلاها يسوع وحيداً .

إن القرار الموثوق منه حول حقيقة ما جرى في الحديقة - في  
الليلة الأخيرة - أنه أمر مستحيل (١) .

(١) تفسير أنجيل مرقس دنيس أربك من ٢٨٩ / ٢٩١ .

• أما عن المحاكمة فإنها تتخذ حسب النصوص

ثلاث مراحل :

المرحلة الأولى : المحاكمة أمام مجمع اليهود :

يقول مرقس : وكان بطرس قد تبعه من بعيد . . . الخ

النص ٦٥/٥٣/١٤ .

يقول العلامة نينهام : ليس من السهل أن تبين كيف نشأ هذا

الجزء .

ولقد كان السؤال حول قيمته التاريخية - ولا يزال - موضوعا

يتعرض لمناقشات حيوية ، ومن الواجب أن نعرض الأسباب

الرئيسية للشك في قيمته التاريخية وتناقشها باختصار كما يلي :

(١) يصف القديس مرقس المحاكمة على أنها أحداث أمام المجمع

- أي السنهدين - وهو هيئة رسمية تتكون من واحد وسبعين

عضواً يرأسها رئيس الكهنة ، وتمثل السلطة الشرعية العليا في

إسرائيل .

ولما كانت لأئحة السنهدين المذكورة في المشنا تبين الخطوات التفصيلية التي يجب إتخاذها أمام تلك الهيئة ، فإن المقارنة بين تلك الإجراءات وبين ما يذكره القديس مرقس عن محاكمة يسوع تكشف عن عدد من المتناقضات أغلبها جدير بالاعتبار ...

إن محاكمة رسمية في مثل ذلك الوقت - منتصف الليلة السابقة لعيد الفصح - تبدو شيئاً لا يمكن تصديقه كما يشك أغلب العلماء تماماً في عقد جلسة في مثل ذلك الوقت ، ولو لعمل تحقيقات مبدئية .

والقديس لوقا لا يذكر شيئاً عن عقد المجمع بالليل ، إنه يقول :

[ولما كان النهار اجتمعت مشيخة الشعب ورؤساء الكهنة  
والسكبة وأصعدوه إلى مجمعهم] [٢٢ : ٦٦ /

فعدد الاجتماعات في أوقات مختلفة مهما حاول المتفلسفون التقريب بينها فإنها يعوزها الدقة اللازمة لمثل هذه النصوص لإمكان الاعتماد عليها في معرفة حقيقة ما حدث في جلسة ذلك الصباح الباكر ...

وليس من النافلة قصة إنكار بطرس فإنها تثير عدداً من المشاكل لا سيما الخلط بين رواية التنبؤ بإنكار بطرس للمسيح وبين التنبؤ بشك جميع التلاميذ في معلمهم في تلك الليلة الأخيرة .

وأفكار بطرس محل إختلاف كبير بين كتبة الأناجيل ولهذا  
يقول المفسرون :

إن قصة بطرس مليئة بالمشاكل التي تذهب فيها بعيداً عن إطار  
الواقع .

ولا يبقى بعد ذلك سوى شك التلاميذ في معلمهم في تلك الليلة  
الآخيرة (١) .

### المرحلة الثانية : المحاكمة أمام بيلاطس

يقول مرقس : و الوقت في الصباح الباكر تشاور رؤساء الكهنة  
والشيوخ والكتبة والمجمع كله وأوثقوا يسوع ومضوا به وأسلموه  
إلى بيلاطس ... إلخ النص [١٥ : ١ - ١٥] .

يبدأ هذا الجزء بالاجتماع الثاني المستهدين مع أن مضمون  
الفقرة الأولى لا يطينا أى إشارة عن إجتماع سابق ومع أن المحاكمة  
تعرض لنا باعتبارها وقعت في العراق إلا أن رواية مرقس لا يمكن  
إعتبارها تقريراً لشاهد عيان .

---

(١) راجل تفسير إنجيل متى جون فنتون ص ٢٩٩ وكتاب تفسير إنجيل لوقا دكتور  
جورج كيرد ص ٢٤٤ .

والعلماء يشكون كذلك في حادث غسل يد بيلاطس باعتبار أن عملية غسل اليد تكون دليلاً على البراءة، إنما هي عادة يهودية أكثر منها عادة رومانية .

ومن المستبعد أن يكون بيلاطس قد عمل شيئاً كهذا (١) .

### المرحلة الثالثة : المحاكمة أمام هيرودس

يقول لوقا : كانوا يشردون قائلين : لأنه يهبج الشعب وهو يعمل في كل اليهودية بدءاً من الجليل إلى هنا فلما سمع بيلاطس ذكر الجليل سأل هل الرجل جليلي ؟

و حين علم أنه من سلطنة هيرودس أرسله إلى هيرودس إذا كان هو أيضاً تلك الأيام في أورشليم . . . الخ النص ٢٣ : ١١/٥ .

إن هذه المحاكمة لم تذكر في إنجيل آخر غير إنجيل لوقا . هكذا يقول دكتور جورج كيرد .

ويتساءل بعض العلماء عما إذا كان هناك وقت كاف بين طلوع النهار والتاسعة صباحاً يسمح بحدوث مثل تلك المرات الكثيرة من الحجى والرواح ؟ ومن ناحية أخرى فمن المحتمل أن تكون للوقا

(١) راجع تفسير إنجيل متى جون فنتون ص ٢٤٨ .

صلاته بأهل بيت هيرودس الذين استقى منهم معلوماته ... لكن على حسب رواية لوقا نجد أن جنود هيرودس - وايس بيلاطس - هم الذين ألبسوا يسوع ملابس ملكية ، كما لا يعلم شيئاً عن العداوة بين هيرودس وبيلاطس (١) .

أما عن سخرية الجنود فقد إضطرب فيها كاتبو الأناجيل إضطراباً جعل من المتعذر الوصول إلى الحقيقة التي يقصدها كتابة الأناجيل .

● الصاب :

وفيه عدة مسائل :

- حامل الصاب

- شراب المصلوب

- علة المصلوب

- اللسان والمصلوب

- وقت الصاب

- صلاة المصلوب

(١) تفسير لوقا دكتور جورج كيردس ص ٢٤٧ .



- صرخة اليأس

- موت المصلوب

- شهود الصلب

● حامل الصليب : من هو :

(أ) يتفق متى ولوقا مع مرقس أن حامل الصليب هو سمعان القيرواني.

(ب) لكن يوحنا يقرر أن يسوع خرج وهو حامل صليبه (١)

● شراب المصلوب : عند مرقس أعطوه خمرأ .

عند لوقا قدموا له خلا .

وعند متى أعطوه خلا بمزوجا بمرارة (٢).

● علة المصلوب :

لقد اختلف الآراء بشدة حول صحة ما كتب عن علة ، فيرى بعض العلماء أن الصيغة الدقيقة قد عرفت عن طريق شهود عيان ،

(١) تفسير لانجيل مرقس ديفيس أريك ص ٤٢٢ .

(٢) تفسير متى جون فنتون ص ٤٤٠ .

بيننا يعتقد آخرون أنه من غير المحتمل أن يكون الرومان - إستخدموا مثل تلك الصيغة الجافة ، وأن ما ذكره القديس مرقس بوجه خاص عن علته إنما يرجع مرة أخرى لبيان أن يسوع قد اعدم باعتباره المسيا .

وقياسا على ذلك نستطيع تقييم درجة الدقة لما تذكره الأناجيل عن ألقاب المسيح ، وخاصة ما ينسب إليه من قوله مثل :

كان هذا الإنسان باراً ، بينما يقول آخر : كان هذا الانسان ابن الله ، أو قول تلميذه له يا معلم ، وآخر يقول له يا سيد و زداء غريب يقول له يارب إن الحقيقة دائماً حول هذه الأمور محل شك ومحل خلاف . (١)

### ● اللسان المصلوبان :

تختلف الأناجيل في موقف اللصين المصلوبين بل اختلفت نسخ انجيل مرقس مع نفسها في الرواية الواحدة فعند متى ومرقس أن اللصين كانا يعرانه [ ١٥ : ٢٧ - ٢٢ مرقس ] وعند لوقا كانا يتشاجران مع بعضهما أحدهما يجردف ساخرا والآخر يدافع مؤمنا ( ٢٣ : ٣٩ - ٤٢ ) لوقا .

(١) تفسير انجيل مرقس دنيس اربك ص ٤٢٤ .

● وقت الصلب :

• عند مرقس الساعة الثالثة ( ١٥ : ٢٥ ) .

• وعند يوحنا الساعة السادسة ( ١٩ : ١٦١٤ ) .

يقول دنيس اربك فيشهام :

منذ اللحظة التي روى فيها القديس مرقس انكار الناس ليسوع نجد أن الوقت قد خطط بعناية بحيث تكون الفترة ثلاثية :

• إنكار بطرس ثلاث مرات ( ١٤ : ٦٨ ، ٧٢ ) .

• وقت الصلب الساعة الثالثة ( ١٥ : ٢٥ ) .

• ووقت الظلمة من الساعة السادسة إلى التاسعة ووقت المساء

• ( ١٥ : ٣٣ ، ٣٤ ، ٤٢ ) .

وهنا يبدو الحساب مصطنعا إذ أنه من الصعب أن كل ماروته الأعداد ( ١٥ : ١ - ٢٤ ) منذ بدء جلسة الصباح حتى وقت الصلب يمكن حدوثه في الثلاث ساعات في حين أن انجيل يوحنا يبين أن ذلك لم يحدث ( ١٩ : ١٤ )<sup>(١)</sup> .

(١) راجع تفسير انجيل مرقس دنيس اربك ص ٤٢٤ .

• صلاة المصلوب :

يذكر لوقا أن يسوع قال : يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون ( ٢٣ : ٢٣ / ٢٤ ) .

ولكن الدكتور جورج كيرد يذهب إلى أن لوقا هو الذي أنقرد بهذه الصلاة - الدعاء - فقد حذفها الأناجيل الأخرى بل أن بعض النسخ التي تنسب إلى لوقا لم تذكرها (١) .

وقد قيل إن هذه الصلاة محيت من نسخ الانجيل الأولى بواسطة كتبة القرن الثاني الذين ظنوا أن الله لن يغفر لليهود بعد تدمير أورشليم عام ٧٠ م وعام ١٢٥ م لقد ظنوا بعد هذا أن الله لم يقبل هذا الدعاء ولذلك محاها كتاب القرن الثاني الميلادي (٢) .

• صرخة اليأس :

يقول مرقس : وفي الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا : أوى أوى لما شيقيةقتنى ( ١٥ : ٣٢ / ٣٤ ) .

(١) راجع تفسير انجيل لوقا ص ٢٥٠ .

(٢) راجع تفسير انجيل لوقا ص ٢٥١ .

ويقول لوقا : وكان نحو الساعة السادسة فكانت ظلمة على الأرض كلها إلى الساعة التاسعة ونادى يسوع بصوت عظيم وقال : يا أبتاه في يديك استودع روحى [ ٢٣ : ٤٤ - ٤٦ ] .

بينما يقول يوحنا : فلما أخذ يسوع الخل قال قد أكمل .  
( ١٩ : ٢٨ - ٣٠ ) .

إن صرخة اليأس على الصليب تشير عددا من المشا كل التي كانت ولا تزال موضع جدل بين العلماء :

فالبعض يقول :

يبدو إن القديسين : لوقا ، ويوحنا قد رأيا في كلامهما غمرا واحتمالا لسره الفهم ولذلك حذفاهم استبدلا أحدهما بقوله :  
يا أبتاه في يديك استودع روحى ، بينما قال الآخر : قد أكمل .

وعلى العكس من ذلك فإن مثل هذا الرأى يفترض الرواية التي كانت شاغله الأول وأن يذكر الحقيقة التاريخية ويسجل بأمانة للأجيال القادمة كلاما مزعجا يتعذر تفسيره ، ولهذا فإن أغلب العلماء المحدثين يقرون . تأويلات مختلفة تماما تقوم على حقيقة أن هذه الكلمات اليائسة إنما هي اقتباس من المزمور ٢٢ : ١ ، وإذا

أخذناه ككل فإنه لا يمكن أن يكون صرخة يأس إنما هو صلاة  
لعبد بار يعاني آلاما ، إلا أنه يشق في حب الله له وحفظه من الشرور  
وهو مطمئن تماما إلى حماية ربه إياه (١) .

### ● موت المصابوب :

يقول مرقس : ركض واحد وملاً اسفنجة خلا وجعلها على  
قصبية وسقاه قائلا : اتركوه لنزهل يأتي إيليا لينزله ، فصرخ  
يسوع بصوت عظيم وأسلم الروح ( ١٥ : ٣٦ - ٢٧ ) .

ويقول متى : قوم من الواقفين هناك لما سمعوا قالوا : إنه ينادى  
إيليا وللوقت ركض واحد منهم وأخذ اسفنجة وملاًها خلا وجعلها  
على قصبية وسقاه ، وأما الباقون فقالوا : اترك ، انزى هل يأتي  
إيليا يخاطبه فصرخ يسوع أيضاً بصوت عظيم وأسلم الروح  
( ٢٧ : ٥٧ - ٥٠ ) .

وهنا نجد أن ( متى ) فرق بين الذي أعطى يسوع الخل والذي  
قال اترك لكن ( مرقس ) جعلهما واحداً .

وفي ( متى ) نجد الباقين هم الذين يخاطبون الرجل الذي أعطاه الخل

(١) تفسير انجيل مرقس ص ٤٢٢ - ٤٢٨ .

بقولهم اترك بينما في [ مرقص ] الخطاب للجمع [ ازكوا ] ومهما  
كانت الحقيقة فإن الموت كأس تتجرعه المخلوقات وحين ينش الناس  
بظله فإنهم يسلمون لله طوعاً أو كرهاً .

### • شهود الصلب :

في مرقص : وكانت أيضاً نساء ينظرون من بعيد بينهن مريم  
المجدالية ، ومريم أم يعقوب الصغرى ويوس وسالومة اللواتي أيضاً  
تبعته وخامته حين كان في الجيل [ ١٥ : ٤٠ - ٤١ ] مرقص .

وفي لوقا : وكان لجميع معارفه ونساء كن قد تبعنه من الجيل  
واقفين من بعيد ينظرون ذلك . [ ٢٣ : ٤٩ ] لوقا .

وفي يوحنا : وكانت واقفات عند صليب يسوع أمه وأخت أمه  
مريم زوجة كلوبا ، ومريم المجدلية [ ١٩ : ٢٥ ] يوحنا .

تعلق دائرة المعارف البريطانية على هذا بقولها :

اختلف الشهود على الصلب فوجد في الأناجيل الثلاثة : المتشابهة  
أن النساء فقط تبعن يسوع ، وأن القائمة التي كتب بعناية واستفاضة  
لا تضم والدته .

ولكن في يوحنا نجد أن والدته مريم تقف مع مريمين آخرين والتلميذ المحبوب تحت الصليب [ ومن تلك الساعة أخذها التلميذ المحبوب إلى خاصته ] .

هذا بينما لا تظهر والدته في أورشليم - حسبما ذكرته المؤلفات القديمة - إلا قبيل العيد وفي رفقة أخوته [ أعمال الرسل ، ١ : ١٤ ]<sup>(١)</sup>

يقول جون فترن :

لقد هرب التلاميذ عند القبض على يسوع ورغم أن بطرس قد تبعه من بعيد إلى ذفا. دار رئيس الكهنة فإننا لا نسمع عنه شيئاً أكثر من ذلك بعد إنكاره ليسوع<sup>(٢)</sup> .

من ذلك يتبين أن شهود الأحداث الرئيسية التي قامت عليها الهنائد المسيحية وهي :

الصلب

والقيامة

(١) تفسير انجيل مرقس ص ٤٢٩ .

(٢) تفسير انجيل متى ص ٤٤٥ - ٤٤٦ .

(م ١٤ - المسيحية)



## والظهور

إنما كن على أحسن الفروض نساء شاهدين ما شاهدين من بعيد ثم  
قن بعد ذلك بالرواية والتبليغ .

لكن الدكتور تشارلز هارولد المحاضر بجامعة بيل يرى :

أن الصلب كان الوسيلة المألوفة للإعدام تحت حكم الرومان وأن  
ما جاء في مرقس من الآلام على لسان يسوع إنما هو تهيئه من  
أجل الموت لا من أجل المعاناة وما من شك في أن التنبؤات التي  
نجدها في الأناجيل ليست أكثر من إنعكاس لتجارب الكنيسة الأولى  
التي تكونت فيها التعاليم المسيحية ، ومن المؤكد ان بعضا من  
هذه التنبؤات - على الأقل - قد لوئتها تلك التجارب وفضلا عن  
هذا فإنها لم تتحقق (١)

\* \* \*

وإنه مما لا شك فيه إذا تهدم الإنجيل ، وفكرة الصلب فقد  
تهدمت المسيحية أصلا ، وموضوعا لقد هدمها بولس وهو يظن  
أنه يبنها .

(١) دكتور تشارلز ص ٤١ - ٤٧ .

هدمها قسطنطين وهو يظن أنه ينصرها ثم هدمها علماء أوروبا  
المعاصرون .

وإلى هذا الرأي يذهب ول ديورانت صاحب الكتاب المشهور  
صحة الحضارة ، يقول :

وكان الصلب من طرق العقاب الرومانية اليهودية .

وكان الجلد يسبقه عادة ، ووضع الجنود الرومان تاجاً من  
شوك على رأس المسيح يسخرون بذلك من تلقيبه بملك اليهود ، ،  
انقشوا على صليبه باللغات : الآرامية ، واليونانية ، واللاتينية ،  
« عيسى الناصري هو ملك اليهود ،

Nar. ar athaeus rek joudeor um.

\* \* \*

ومما لا شك فيه أنه إذا تهدمت فكرة الصلب كقداء لاخطيئة ،  
كما أثبت علماء المسيحية أنفسهم عدم صحة الأناجيل المنسوبة إلى  
حماها فقد إنهارت المسيحية بمعول مسيحي .

لقد أنهارت المسيحية بمحول برانس وهو يظن أنه عندما يفصلها  
عن اليهودية أساسها وأصلها أنه يعززها وينصرها .

وهدمها قسطنطين وهو يظن أنه أخرجها من الكهوف إلى  
القصور .

وهدمها علماء أوربا بما صنعوه من نظام كنسى لا يعرفه عيسى  
ولا الحواريون .

ثم هدمها هدماً علياً جمع غفير من العلماء الباحثين في الجامعات  
الأوربية المسيحية سواء :

(أ) من آمن منهم بالله الحق وأسلم مثل ايتين ديليه وريديه جينو  
وليو بلد فاس ، وسيرهدلى .

(ب) أو الذين لم يؤمنوا مثل شارل جنى بير ، آرثر فندلا  
وجون فنتون ، جورج كيرد دنيس نيفهام ... الخ .

وبقيت المسيحية الرابعة في عالم المعرفة هوى فن أضل ممن أم  
هواه بغير علم .

اللهم إني أشهدك وأشهد ملائكتك عرشك أنني أؤمن بعيسى بن  
مريم عبداً ورسولاً إلى بني إسرائيل ومبشراً بسيدنا محمد صلى الله  
عليه وسلم .

اللهم صلى على جميع الأنبياء والمرسلين وعلى خاتمهم النبي الأمي  
الأمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى  
يوم الدين .

والحمد لله رب العالمين .



خاتمة —————

ظواهر في المجتمع

المسيحي المعاصر



## الظاهرة الاولى

الذى يدرس حياة المجتمع المسيحى المعاصر يجد عدة ظواهر فى مقدمة هذه الظواهر عدم إقناع المثقفين النبلاء المخلصين بالنصوص التى ورثوها عن الأجداد القدامى . وتجده هذه الظاهرة فى شعوب كثيرة فى إنجلترا ، وألمانيا ، وفرنسا ، وفى ماليزيا وأندونيسيا بل وفى مصر .

وجلة الناقدين فكرباً للنصوص القديمة صدت عن المثقفين بل والمتخصصين على نحو ماسقناه فى طوال هذه الدراسة .

ولقد أخذت فكرة النقد عدة مراحل :-

- (أ) لقد كانت آراء شخصيته تعبر عن النقد الوجدانى لنصوص لا تتفق مع وجدانهم ومشاعرهم كما فعل ذلك مسيو ديليه وجينو .
- (ب) ثم كانت أبحاثاً علمية صاحبة لا تقدم النقد إلى قاعة الحق واليقين بقدر ما تخرجه فقد من حلبة النزاع النفسى مع الكنيسة ومع النصوص القديمة وهذا ما فعله العالم الألمانى فلهوذن حيث ترك تدريس مقارنة الأديان لأنه لم يعتقد بعد فى صحتها وراح يدرس اللغات الشرقية .



(د) ثم صارت هذه الانتقادات صرخة علمية جريئة في قاعات البحث العلمي بالجامعات وهذا ما فعله مسيو شارل جنير العالم الفرنسي المتخصص في تاريخ الأديان بجامعة باريس ، وفعله من بعد جماعة العلماء الإنجليز الذين قدموا أبحاثهم في تفسيرات الأناجيل ووضعوا قواعد لنقدها وانتهوا منها إلى أنها غير مقبولة علمياً .

ومعنى هذه الظاهرة بالفقه الإسلامى أن الكتب التى نزلت على الأنبياء قد حرفت وموقف الكنيسة الانكليزية كشمال للإعتراف على هذه القضية واضح فى مقالة الأسقف تشارلى هذب إذ يقول :

إن موقف الكنيسة الإنكليزية حيال هذه الأسفار المسماة بالأيلوكريفا هو موقف الكنيسة الأولى نفسه ؛ فهى تعتبرها أسفاراً كنيسية وإن كانت غير قانونية ... أما بقية الأسفار فكما يقول «إيرونيوموس» أن الكنيسة إنما نقرؤها لقدوة السير . . . ولكن لا تستند إليها فى إثبات التعاليم (١)

فالدعوى المعاصرة من بعض مشيرى الفتن الطوائفية فى العالم الإسلامى من أولئك المستغلين زحمة الضيق والشغرات التى تحيط

---

(١) مقدمة كتاب : مقدمة الاسفار غير القانونية للعلامة الإنجليز الكان سل

ترجمة ألقس صالح راعى الكنيسة الإنجيلية بالقدس

بالأمم، إنما هم قزم إنتهازيون وليسوا على مستوى الفكر ولا على مستوى  
من أخلاق العلم النزيه .

وشبابنا عليه أن يتفحص أساليب أوائلك النوع من أوعياذ  
الثقافة والعلم لاسيما في تلك اللغة المنأناة التي يطاق عليها الحوار الديني  
ليوهى في المسلمين حماسهم المخلص لوجه الله ، وليكسب على الأقل  
إفساد الغاية العليا للمسلمين وهي أن يكون الله الواحد الأحد الذي  
الذي لا شريك له ولا ولد هو الغاية في كل مطلب من مطالب الحياة

\* \* \*

## الظاهرة الثانية

تلك الجموع من الشباب المسيحي الأوربي وغير الأوربي التي تعتنق الاسلام في الأوقات الحديثه .

من يظن أن المسلمين وهم في هذه الأحوال من الضعف والتهافت والانشقاق والازدحام في سوق الشتائم . . . . .

من يظن أن المسلمين بهذى الحالة يكون مصدر حالم دعوة إسلامية .

لقد حاول المبشرون أثر هزيمة يونيو سنة ١٩٦٧ أن ينشروا مقارنة بين المنهزمين والمنصرين ليستنتجوا من هذه المقارنة أن الهزيمة نمره طبيعية للدين الذي يعتنقه المنهزمون .

وحاول المبشرون أن ينشروا صور بعض الأعراب وهم في حالات لا أخلاقية لينفروا الناس من إعتراف دين أوائلك القوم المنهزمين وأن الاسلام دين العرب ... .. أخ .

وحاول المبشرون شراء الذمم بالمال والسكر والملابس والمستشفيات والمنح الدراسية والسيناتا ... وجميع ألوان الترفيه ليصدوا عن الاسلام وعن دعوة الحق المبين .

ولكننا في هذه الظروف والملابسات نجد ظاهرة وهي لاشك  
ظاهرة صحيحة نجد جموعاً من الشباب المسيحي تدخل الإسلام .

أنها لاشك منحة من الله فهو وحده جل جلاله يهدي من يشاء  
إلى صراطه المستقيم .

( إنك لانهدى من أحببت ، ولكن الله يهدي من يشاء . )

● ومن النماذج الحية المعاصرة ذلك القسيس الذي عاش عشرين  
عاماً في الكنيسة الكاثوليكية ثم يعلن إسلامه ، فقد جاء في جريدة  
الأهرام أن الدكتور - جو هانز إيمان قسيس الكنيسة  
الكاثوليكية في كوالومفور اعتمق الإسلام ، وذلك بعد أن قضى  
عشرين عاماً من حياته في خدمة المسيحية .

وأذاع الدكتور جو هانز أن اسمه الجديد قد أصبح الدكتور -  
يحيى عبد الرحمن وقال للصحفيين في كوالومفور أنه اتخذ هذه القرار  
بعد أن قضى سنوات يدرس كل ما يتعلق بالدين الإسلامي .

وقال الدكتور يحيى ( جو هانز سابقاً ) لقد كنت معظوماً حقاً ،  
فبعد سنوات من الدراسة المقارنة في الأديان تأكد لدي أن الإسلام  
دين ذو قوة روحانية تقود الإنسان إلى الوحدة الأخوية وترشده إلى

الله وتؤكد له وحدانية الخالق (١).

● وتضى الأيام ويدخل هذه المرة شباب أكثر حماسة  
ويقيناً ولا تفرع المراكز الاسلامية في الخارج ولا لجنة الفتوى  
بالجامع الأزهر من واحد كل يوم يشهر إسلامه .

واقدمتتا جريدة الأهرام كذلك نبأ إسلام أشهر مطرب  
في لندن وهو خبز غريب جداً ، إذا لا يتصور من مثل هذا الشاب  
أن يفهم شيئاً عن الإسلام فجمال عمله . لا يسعفه على الاطلاع  
والقراءة ثم النقد والتحليل والوصول إلى النتائج ... ولكن الله يمن  
على من يشاء من عباده .

والنص الذي نشرته الأهرام كما يلي : -

أشهر مطرب في لندن يعتنق الاسلام

الدين الاسلامي هو القانون الحق لكل الناس .

---

(١) جريدة الأهرام ص ١ عمود ٤ العدد رقم ٢٢٢٢٨٦ السنة ١٠١  
بتاريخ يوم الخميس ١٢ من ربيع الثاني ١٣٩٥ هو الموافق ٢٤ من أبريل  
١٩٧٧ م .

اسمه كات ستيفنس من أشهر مطربي لندن ... أشهر إسلامه  
أخيراً وأطلق على نفسه اسم يوسف إسلام . ويقول المطرب  
الانجائزي الأول الذي اعتنق الإسلام : أن الدين الإسلامي ليس  
عقيدة فقط ولكنه أيضاً القانون الحق لكل الناس . وهو يهتدنا إلى  
الحب والطاعة والسلام التام مع النفس .

وقد أصدر يوسف إسلام كتاباً صغيراً يدعو فيه معجبيه إلى  
الدين الإسلامي ويشرح لهم كيف اعتنق الإسلام بقوله .

تأملوا الشمس ونورها وأشعاعات القمر وتتابع الليل والنهار وبدائع  
السموات والأرض وانتشار الأرض وخلق الإنسان وهنا ستختارون  
الإسلام وهذه الكلمات عرفتها من القرآن ومعانيه .

واختم كتابه بقوله : إن الإنسان بطبيعته خاق ليعلم الحقيقة  
والإسلام هو الدين السليم للإنسان لقد أخرجنا الله بالقرآن  
الكريم من الظلمات والتشاؤم إلى النور والحياة لأنه شرح جميع  
ما يحتاج إليه البشر . لقد أوضح القرآن لنا هدفنا في الحياة فهو يعنى  
الباحث بالهداية ويوقف تفكير الإنسان فيما هو غامض ويزوده

بالسلام الحقيقي وأحسن الطرق لفهم حقيقة التعاون ( أما الذين يتشككون في الاسلام - يقول يوسف إسلام فسيظلون في الظلمات الانسانية كما نعلم عائلة كبيرة ولكن للإسف بها موانع بدلا من عبورها إذا عبرنا هذه الموانع فالإنسان يستطيع الوصول إلى حقيقة وجوده وبذلك يعترف بوجود الخالق الذي هو الله سبحانه وتعالى ) .

وقال لي يوسف إسلام ( لقد ذهبت إلى المركز الاسلامي في لندن وأعلنت إسلامي وأنا فوق قمة شهرتي وهجدي ولم أتردد خشية أن يفقد في ذلك المعجبين بل على العكس فإنني كنت أو من أن سبحانه وتعالى سوف يعوضني الكثير ) . وقال لي يوسف إسلام : ( قبل اعتناقي للإسلام كنت أتحيل أن القرآن ثقافة قديمة ولكن الآن وبعد أن قرأت القرآن أكثر من مرة اتضح لي أن تعاليد الدين الإسلامي ومبادئه ومعانيه لم تكن واضحة في دراستنا التاريخية التي كنا ندرسها في المدارس كذلك لم تشر إلى رسالة محمد عليه الصلاة والسلام التي تعتبر بحق مرشداً لجميع الأجناس ) .

وقال المطرب الانجليزي الأول : ( لقد تحققت بعد قراءتي للقرآن أن تلك الآيات والكلمات البينات لا يمكن أن تكون صادرة من تفكير إنسان فهي كلمات تختلف تماما عما نقرأه في أي

كتب فأنا قارى، ممتاز أنى اقرأ الكتب الصادرة عن الأديبان أو  
السياسة أو الفن ) .

وعن نشأته يقول يوسف إسلام : ( ولدت سنة ١٩٤٨ م  
فى لندن وكان اسمى إستيفن ديمترى جيو رجو ووالدى أستافروس  
القبرصى الجنسية والذي زار مصر ومكث بها ثمانى سنوات ، كان  
يملك عدة مطاعم غرب لندن ، كنت أعيش مع والدى السويدية  
وأخى ديفيد وأختى أنية . . كنت أصغر أخوتى وأحب الفن  
والموسيقى وهوايتى المفضلة كانت الرسم بمادعا الجميع أن يصفونى  
بأنى طفل مرهوب ولكن فى داخلى كنت خجولا وكان القلم هو  
الوسيلة الوحيدة للوصل بينى وبين غيرى . . وفى الخامسة عشرة  
اشتريت لى والدى جيتارا مكافأة لى على نجاحى بتفوق فى دراستى  
وهنا بدأت الموسيقى دورها معى فبدأت أكتب أغنياتى وانتشرت  
لسمى د كات ستيفن ، لاسم الشهرة ، . وفى الثامنة عشر طبعت أول  
اسطوانة لى وخطاة أصبحت نجما كبيرا وبدأت إسطواناتى تباع فى  
جميع أنحاء لندن وأوربا . وحضر أخى بعد أيام من رحلة إلى الهند  
ومعه نسخة من القرآن باللغة الانجليزية أعطاه له صديق مسلم من  
الهند وقال له إقرأ هذا الكتاب قد تجد فيه ما يهديك أثناء استشفائك  
وكذلك مخرجاً من حالتك النفسية وبدأت منذ ذلك الوقت فى إطلاق  
( ١٥ - السبعة الرابعة )



الحيثي وأعد نفسي روحياً وفي يوم من الأيام شعرت بشيء عظيم  
وأحسست بنور عظيم يملأ قلبي وهدوء عظيم يسكن صدري .

يقول يوسف إسلام : ( إنني أقوم بالصلاة خمس مرات يومياً  
معظمها في المركز الاسلامي بلندن وقد ساعدت على فهم الكثير من  
الألغاز وفهم وشرح الآيات الدكتور سيد الدرش مدير المركز الذي  
شجعني كثيراً إلى أن صار المركز الاسلامي جزءاً مني أزوره كل  
يوم .. وقد تعودت الصيام في شهر رمضان وأقوم بصلاة الفجر  
كل يوم ) .

واقدم هدايتي إلى الزوجة الصالحة التي تزوجتها في الشهر  
الماضي واسمها فوزية وهي مسلمة ومن عائلة كبيرة في تركيا .. وأنا  
حالياً أدرس اللغة العربية .. وأقصر نشاطي في الغناء على الحفلات  
الخيرية مساهمة في إسعاد الأطفال وقت بعمل أغنيتين لهم في عام  
الطفل :

ويقول : لقد قلت للمعجبين في الكتاب الذي وجهته إليهم : أنه  
لو فرت للناس جميعاً معاني الاسلام لما وجدنا سوء التفاهم السائد في  
جميع أنحاء العالم لأن الاسلام معناه السلام فكل مسلم يعلن إسلامه وإيمانه  
برب واحد هو الله لا إله إلا هو والشهادة بأن محمداً نبي الله عليه الصلاة

والسلام وأن المسلمين جميعاً يؤمنون بجميع الأنبياء : نوح وإبراهيم  
وعيسى وموسى وغيرهم من الأنبياء على أنهم رسل حق وصدق وأن  
القرآن هو كلمة الله كما قدمها النبي محمد عليه الصلاة والسلام منذ  
١٤٠٠ سنة .

\* \* \*

ومن بعيد جداً يؤكد هذه الظاهرة العالم المجرى جيولا  
جرمانوس ذلك العالم الذي أحس بشعاع الإسلام يغمر فواده وطوايا  
جنانه فأسلم وترك صناعته أوربا في الدين وتعمق في دراسة الإسلام  
إلى أن نال درجة الدكتوراه في آداب اللغة التركية واللغة العربية عام  
١٩٠٧ م ووصل - وهو مسلم - إلى درجة علمية حتى صار أستاذاً  
زائراً في عديد من الجامعات منها :

\* جامعة كالكتا بالهند، وجامعة واجر بالبنجال

\* وجامعة الاسكندرية ، وجامعة القاهرة

ثم عين عضواً في المجمع اللغوي بالقاهرة وكان عالماً ضليعاً  
بالعربية أصولاً وتذوقاً وتصنيفاً وأدباً .

ولما حج إلى بيت الله الحرام بمكة المكرمة أصدر كتاباً رائعاً  
بالعربية تحت عنوان : (الله أكبر) وكان الكتاب في مجلدين ترجمتا  
فيها بعد إلى اللغتين : الألمانية والإيطالية .

وقدمت في شهر نوفمبر سنة ١٩٧٩ م بعد حياة حافلة بالتقوى  
والعلم والمجد في سبيل نصرة دين الله واطاعة القرآن الكريم.

وأوصى الدكتور جيولا جيرمانوس الذي صار بعد إسلامه  
عبد الكريم جيرمانوس . بدفنه في عاصمة بلاده المجر بواد بست على  
نظام الشريعة الإسلامية وقد شيعه سفراء الدول الإسلامية وفي  
مقدمتهم سفير مصر عرين الإسلام وحسن الضاد وبلد الأزهر  
الشريف .

وقدمت العالم الأوربي المسلم الدكتور عبد الكريم جيرمانوس عن  
٩٥ عاماً وقد حضر المؤتمر الأول لمجمع البحوث الإسلامية عام ١٩٦٤ م  
ممثلاً لمسلمي المجر إحدى دول البلقان ، أيام الخلافة الإسلامية العثمانية .  
رحمه الله رحمة واسعة وأفسح له في جناته (١) .

ومعنى هذه الظاهرة أن الفطرة إذا سلمت من جاذبية الثقافات  
البشرية المضللة فإن الإنسان سوف يهتدى إلى الدين الحق القويم .  
ومعناها كذلك أن الدعوة لا بد وأن تنوجه إلى هذه المنطقة

---

(١) راجع الأهرام العدد ٣٣٩٥١ ص ١٦ بتاريخ ٤ من المحرم سنة  
١٤٠٠ الموافق ١١/٢٤/١٩٧٩ م .

مهما الرباني لتزيل ضباب الثقافات بأساليب تجذب العقل ولا تنفر  
من الإسلام .

إن وجود هذه الظاهرة في حياتنا المعاصرة - دخول غير المسلمين  
من غير العرب في الإسلام - علامة من علامات صحة الإسلام فطرياً  
لجميع البشر .

ومعنى هذا أن الدعوة عليهم أن يعودوا إلى حياض الإسلام  
الصالفة الرائقة النقية السليمة لينهل الناس من نبعها فتروى أكبادهم  
الظامئة إلى شراب الحقيقة عسائم يهدون ، إن شرح الله صدورهم  
إلى إسلام .

ولينحذر الذين يجعلونها شيعاً أن يصير أمرهم كما صار أمر الدين  
الذي جاء به عيسى إلى مسيحية رابعة منفرة مشاكسة للطبع الإنساني  
الكريم

وما أجاه من نداء كريم للجماعة المسلمة .

ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم اليينات  
وأوائك لهم عذاب عظيم .

١٠٥ - آل عمران

أسأل الله العليّ القدير أن يهب شبابنا ودعاتنا صراطه المستقيم  
وأن يمن علينا بالإخلاص وقبول الأعمال فإن القلوب بين أصبعين  
من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء .

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين  
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الإثنين : ۲۹ من ذى الحجة سنة ۱۳۹۹ هـ

۱۹ من نوفمبر سنة ۱۹۷۹ م

دكتور ( متولى يوسف حسن شلبي )

الشهير رؤف شلبي

## كتب للمؤلف

### تحت الطبع

- شيخ الاسلام عبد الحلیم محمود
- المشكلة الاقتصادية
- فی ضوء تعالیم الاسلام
- الجهاد الاسلامی
- منهج وتطبيق
- سيكولوجية الرأي والدعوة
- زفاف راهبة

## من مراجع البحث

- ١ - دائرة المعارف الإنجليزية .
  - ٢ - دائرة المعارف الفرنسية .
  - ٣ - المسيحية مسيو شارل جنى بير .
  - ٤ - شروح الأناجيل لمجموعة كتاب أوربا .
  - ٥ - الدر المنثور آرثر فندلاى .
  - ٦ - الأناجيل الأربعة ( العهد الجديد ) .
  - ٧ - تاريخ ابن البطريق .
  - ٨ - سو سنة سليمان .
  - ٩ - لماذا أسلمت للقس الأندونيسى انطوانيو من مواقع .
  - ١٠ - قضية الحضارة ديورانت ميل .
  - ١١ - يا أهل الكتاب  
تعالوا إلى كلمة سواء
  - ١٢ - الجرائد والمجلات .
- دكتور روف شلبي





١٤٩ - ١٤٦

١٥٧ - ١٥٠

٢٢٧ - ١٥٨

البابوية -

الثورة الإصلاحية

المسيحية أمام النقد

والكشف العلمي

المراجع

الفهرست

\* \* \*